مكتبة ديوان العرب تقدم لكم

الرغيف السابع

مسرحية

زكرياء أبومارية ـ المغرب

إهداء

إلى الفنانة ثريا جبران، في الذكرى سين لتعرض شَعَرها لمقص الرقابة.

* * *

**شخصيات المسرحية*
(حسب الظهور لا الأهمية)**

الممرض الأول
الطبيب
المفتش
الممرض الثاني
الصياد الشاب
الصياد العجوز
ثريا (المؤلفة)
المساعدتان الطبيتان
الفكاهي
مجموعة من المبدعات المتهمات باطلا بالجنون
الممرض الثالث
مساعدتان طبيتان أخريان
المخرج

*: عدم إعطاء أسماء للشخصيات إلا بالنسبة لثريا شطحة مسرحية أكبر من الخوف من أن تصادف الأسماء واقعا معينا، لأنها تورط عمد في هذا التجاهل، مع سبق الإصرار والترصد.

المنظر

يتم الإعداد العام للخشبة بتقسيم فراغها إلى فضائين أساسيين، الأول خلفي وبمستوى أعلى قليلا، ويمثل جزءا من مستشفى للمجانين، بحيث يتم فصل الخلفية بدورها إلى نصفين متجاورين يشكلان غرفتين في المستشفى، مفتوحتان على الجمهور، مع باب في الخلف لكل منهما، ويراعى في الفاصل بينهما أن يكون بعرض صغير أو بأي تقنية أخرى تتيح إمكانية رؤية عمق الغرفتين من أي زاوية من زوايا المسرح.

الفضاء الثاني يشغل كل الواجهة المتقدمة من الخشبة، ويشكل ساحلا بحريا وعرا، بصخور وأمواج.

الفصل الأول

المشهد الأول

يظهر بالكاد في الظلمة شبح الممرض الأول عبر باب الغرفة الأولى، مشرعا إياه عن آخره نحو الجمهور، يضغط على زر الكهرباء فتتضح الرؤية، ثم يترك بعد ذلك المجال بحيث يمكن للجمهور أن يشاهد مكتوبا على واجهته الخارجية بخط جميل وعريض: **غرفة الاختبارات الذهنية.**

يدخل الطبيب وعلى إثره المفتش بزي رسمي ومحفظة منتفخة في يد، وفي اليد الثانية باقة من الزهور البلاستيكية.

الطبيب :

(على مضض) مرحبا بك سيدي المفتش، أهلا أهلا، تفضل، أهلا أهلا.. أخبرت منذ

المفتش:

منذ أسبوع؟ إذن فلم تعد في المسألة مفاجأة.

الطبيب :

بلى سيدي، أهمل من بلغنا أن يضيف كون المفتش ليس هو من تعودنا زياراته في مرات سابقة.

المفتش:

وما الفرق؟

الطبيب :

لم نأخذ استعداداتنا.

المفتش:

مما لم يفسد علي حقا مفاجأتي لكم.

الطبيب :

لا أقصد الإهانة سيدي ولكن يبدو أنك لم تفهم قصدي جيدا، فقد كنت أعني أخذ استعدادات مناسبة للترحيب تليق بزيارتك الأولى لنا، أهلا بك سيدي بيننا، أهلا أهلا، أهلا وسهلا، أهلا أهلا أهلا...

المفتش:

(مقاطعا) وماذا أيضا غير هذه الكذبة السخيفة؟ لقد أطنبت فيها بما يكفي، ولا تتفاجأ هكذا كأبله، إنها الحقيقة فقط، ولكنها حقيقة لا يمكن ألا تكون في غير محلها، والمسألة ليست شخصية لتسوءك، فأنا كنت أقصد النوع عموما بتذمري من هذه المسرحية التي طال عرضها.

الطبيب :

ولكننا بدأنا مسرحيتنا للتو!!

المفتش:

هذا ما تظنه أنت لأنك مجرد مؤدٍّ لمشاهدها، أما أنا فزرت مستشفيات كثيرة للمجانين وتفرجت، وأرى حقا أن هذه المسرحية أصبحت كروية تماما بحيث غدا بإمكانها أن تنط في كل اتجاه ناقلة معها نفس الصورة أيا كانت الزاوية المنظور بها إليها.. لماذا دائما هذا الترحيب والكرم؟

الطبيب :

كذبة سخيفة إذن؟!!

المفتش:

إنهم يرحبون يوميا بقادة كبار لا يصنعون سوى أنهم يقودون العالم نحو حروب مدمرة، ألا تتفرج على التلفاز؟

الطبيب :

إذن فأنت باعتبارك المرحَّب به من عليك ألا تكون مدمِّرا.

المفتش:

لا بد أن المرحبين يدارون خلف الترحيب السخي ما هو أبشع من الدمار.

الطبيب :

الشعوب طيبة فقط، تنسى وتسامح وتصدق وتأمل الغد الجميل الموعود أكثر مما تتألم من أمسها المكذوب.. طيبون فقط، طيبون.

المفتش:

بل عاجزون، وهذا ما يخفونه في ترحيبهم، حبهم بهوس لمن يحقق حلمهم الأزلي

الـطبيــب :

باستطاعتي أن أتجنب ذلك، ولكنك ستبقى مفتشا بترحيبي أو بغيره، واحتمال أن ألا تكون مدمرا وارد أيضا، فلماذا لا أكون طيبا وبنية حسنة وأرحب بك بكرم؟

الـمـفـتـش:

بوسعك دائما أن تحاول من جديد، وإلى ما لا نهاية إن أردت.

الـطبيــب :

ماذا؟ أن أرحب بك مرة أخرى؟!! مع هذه اللهجة الساخرة والمتهمة؟

الـمـفـتـش:

أو حتى أن توجه فوهة دفاعك ضدي، لا مانع عندي أن تحاول، لترى جيدا أنني أمسك اتهامي ضدك بقوة وإحكام، وأقصى ما يمكنك أن تحاوله وبلا طائل أيضا هو أن تحبس التسرب الذي أهيئه لك، ولكنك تجهل نوعه لتتجرأ على ذلك.

الـطبيــب :

أؤكد لك أنني سأتجفف من بللي مهما كان قدره.

الـمـفـتـش:

بلل؟!! حسنا، فلتضع سبابتك في الفوهة لنرى.

الـطبيــب :

ولا يسؤك تطاولي سيدي، يبدو أننا سنتبادل التعارف كنوعين متنافرين، لحسن الحظ أن المسألة ليست شخصية بالمرة.

الـمـفـتـش:

تطاول إن أردت ولكن لا تطل في السخافات، قل بسرعة ودعني أتأكد أن سبابتك تستطيع أن تصد الاتهام كما تفعل عندما تشير به بالباطل نحو هذه البريئة عقولهن.

الـطبيــب :

حسنا، كنت فقط أود أن أقول بأنني في وضع سليم، (يستجمع جرأته) وإلا لكنت فكرت أن أضع سبابتي في عينك، وأنت تعلم ما سوف يترتب عن ذلك مهما كان نوع التسرب الذي تهددني به.

الـمـفـتـش:

أستطيع التصويب جيدا حتى بعينين مغمضتين.

الـطبيــب :

حقا؟!!

الـمـفـتـش:

ولا أحتاج حتى أن أكون بعينين لكي أراك، أخبارك تزكم، وأقول لك دون مبالغة بأنني ينبغي لكي لا أراك أن أمسك بإحكام على ثقبي أنفي، غدوت أشبه بخرية كبر حجمها بما يكفي لأصيبها حتى وأنا أسدد نحو نفسي، بل إنني حتى لو تركتك توجه الفوهة ضدي فلن يكون تحديَ لك مبالغة.

الـطبيــب :

أنت فقط تظن أنني لن أصيبك.

الـمـفـتـش:

بل أنا على يقين أنك في هذه الحالة أيضا ستصيب نفسك، نهاية خرية المجاري الواسعة كما تعلم، لماذا تتذمر؟ أنا لم أصنع سوى أنني وضعتك في مكانك المناسب، أوَ ليس هذا أحسن ما قد يصنعه إنسان، أن يضع الأشياء المناسبة في أماكنها الأنسب؟

الـطبيــب :

ولكن عليك أولا أن تحسن إيجادك لهذا المكان الأنسب، (يمسح على صدره بتباه) علما أن الأشياء المناسبة متوفرة.

المفتش:

والسخافات من قبيل ترحيبك المتزلف لا حصر لها.

الطبيب :

وما دخلي أنا فيما كتب لأؤديه؟ طبيعة عملي تحتم علي أن أطيع فقط، وإذا كانت المؤلفة والمخرج مذنبان فلا ذنب لي أنا في أداء الدور الذي أسنداه لي.

المفتش:

تملص لا أستغرب صدوره عن مدير مستشفى للمجانين، إذن فلتعلم أنه إضافة إلى كونه أقدم عرض فإن دورك فيه هو أسخف كذبة تجعلك في الواجهة تماما، وتعرضك وحدك لقذائف الطماطم.

الطبيب :

ذلك ليس بشيء مقارنة مع الانتقاد الذي سوف تتعرض له المؤلفة والمخرج.

المفتش:

هذا إذا لم تكن الطماطم قد علبت بعد.

الطبيب :

كل هذا لأنني رحبت بك بسخاء؟!! المفروض أن دوري في هذا العمل كطبيب رئيس في مستشفى متميز كهذا وإن كان للمجانين يحتم حدا أدنى من الكياسة في الحوار، كذبة سخيفة؟ على المؤلفة أن تعيد النظر فيما يمكن أن يقال لشخصيات من حجمي.

المفتش:

ما أعرفه هو أنك قبلت الدور بمحض اختيارك منذ أن كنت تتمنى لو تصبح طبيبا لتعالج المرضى بالمجان.

الطبيب :

وهل تراني في وضع يسمح بغير ذلك؟!! العالم مجنون وأنا لا أستطيع أن أفتح عيادتي الخاصة.

المفتش:

فلتفعل، ستكون بادرة أولى وفرصة كبيرة.

الطبيب :

تقصد أنني قد أغدو غنيا بفضلها؟

المفتش:

أقصد أنك قد تغدو أغنى بفضلها.

الطبيب :

لا لا، لا تحدثني عن الفضيلة وغنى النفس.

المفتش:

أحدثك عن الاغتناء بشرف.

الطبيب :

لماذا لا تقترح شيئا آخر أفضل؟

المفتش:

تعتقد أن هناك ما هو أفضل من الاغتناء بشرف؟!!

الطبيب :

هذا ليس على الأقل بأفضل من الاغتناء بسرعة، والجميع يفضلون هذا، كل أسرع من الآخر.

المفتش:

لم لا تسرع إذن قبل أن يسبقك إلى هذه الفكرة غيرك؟

الطبيــب :

مشروع عيادة خاصة؟ يبدو أن المجانين أعقل منك، والأكيد أنهم أفقر أيضا، ولذلك فإنهم ليسوا في حاجة إلى زيارة عيادة خاصة لأجل العلاج، كما أنهم لم يشتكوا بعد من المستشفيات الحكومية كما لا أبرح أشكو أنا.

المفتش:

هذا لا يؤكد شيئا سوى أنك أسأت الاختيار، ولا ينفي كونك قبلت دورك التافه داخلها بمحض إرادتك.

الطبيــب :

لقد قرأت الحِوار في سري كدعاء مقدس، ولم أحس بوقع هذه الإهانة إلا بعد أن استجيب وصرتَ تقرع به طبلتي أذنيّ.. منذ أن وقعت العقد والتزمت بالشرط الجزائي المجحف ثم بدأنا التداريب وأنا أتضاءل وتتراجع درجاتي شيئا فشيئا، حتى لم يعد يفصلني عن الجنون سوى عرض مباشر كهذا. كذبة سخيفة كذبة سخيفة!!، حسنا، (يشير نحو الجمهور) والتصفيق المرحب؟ هل تستطيع أن تقول عنه بأنه كان أيضا كذبة سخيفة؟

المفتش:

التصفيق؟ **آه**، هذا التصفيق، إنه بطريقة ضرب كف بأخرى هدر وتبذير.

الطبيــب :

ماذا؟!! إنها الجماهير، الجماهير أيها المفتش، (ينحني) اِنحن أولا ثم تساءل أثناء ذلك فيما إذا لم تكن المؤلفة قد خانها التعبير مرة أخرى.

المفتش:

(ينحني قليلا من جراء ضغط الطبيب على ظهره) كنت أقصد فقط أن بإمكان الجماهير أن يحققوا ما هو أفضل من التصفيق التقليدي بنفس المجهود.

الطبيــب :

الآن وضحت الرؤية، وأصبح الأمر أكثر من مجرد خيانة في التعبير، إنها تتعمد أن تتهور كأنما بينها وبين الشهرة ثأرا، لا تأبهُ لكون العرض قد لا يلاقي ترحيبا هكذا، طبعا، فنحن من في الواجهة، أما هي فيمكن أن تصنع سمعتها في مكان آخر (متداركا) لا لا، بل ستسبقنا إلى، إلى (يتردد قليلا بخصوص المفردة المناسبة).

المفتش:

(يتدخل) واضح جدا أنك جننت.

الطبيــب :

تماما، هو ذاك.

المفتش:

ألم أقل لك؟!!

الطبيــب :

وستسبقنا هي بلا شك إلى هذا الجنون الذي قررته لنا، كيف خطر لها أن تظن أن بإمكان الجماهير أن يحققوا ما هو أفضل من التصفيق وبنفس المجهود؟ (يضع يده على قفا المفتش ويضغط) أكثر، قليلا أيضا، نحن أيضا نعبر عن ترحيبنا بالجمهور بالانحناء له، هيا، هيا، أم أنك ترى أن ذلك يتوقف فقط على مرونة عمودك الفقري؟

المفتش:

(متضايقا) إطلاقا، لا لا، هكذا لا ينفع، ليس البتة بهذه الطريقة. هذا فعلا جنون، وأنا أعرف ما ترمي إليه منذ البدء من وراء هذا التداخل في حوارك وحركاتك. (مظهرا تذمرا أكبر) قلت ليس بهذه الطريقة.

الطبيــب :

(يتوقف عن ضغطه على قفا المفتش) تصر بأن تكون الطريقة مختلفة؟!! حسنا (يتفكر قليلا) ما رأيك إذن لو أنها تكون مثلا بضرب كف على خد بدلا من ضرب كف بالآخر؟ أجل أجل، وبما أن كل شخص يملك كفين وخدين!! تصور معي، سيكون الترحيب مضاعفا، وبنفس المجهود، تماما كما تتوخى، هكذا فعلا ينبغي أن يكون الترحيب، (يجسد الحركة بغضب) هكذا، هكذا...

المفتش:

مؤسف أنهم سبق واتفقوا أن يندبوا حظهم بهذه الطريقة، لا ينفع، ليس هكذا.

الطبيــب :

وماذا تقترح ليكون ترحيبنا بجدوى؟

المفتش:

أن تضرب كل الأكف على خد واحد، سيكون ذلك برنة أقوى**.**

الطبيــب :

نفس الخد؟!! لا لا، هذا غير ممكن، حتى الانتخابات لا يمكن أن توحد أحدا بهذا الشكل، لذلك سيبقى دائما هناك سؤال كبير معلقا، لأن لا أحد سيجرؤ على طرحه، هل تعلم ما هو؟ من يستطيع حقا أن يوحدهم في خد واحد.

المفتش:

حب كبير.

الطبيــب :

وبأي حجم بالضبط؟ وطن مثلا؟!! جميعنا نستطيع أن نتحدث عن مكان ما أوسع بكثير، ثم نأخذ في تقليص المساحة شيئا فشيئا، (يشير إلى أماكن مختلفة في القاعة) هذه المنطقة، هذه الجهة، هذا الإقليم، هذا الحي، ثم أصغر فأصغر إلى أن نشير إلى هذا البيت بالذات، ثم هذا الشخص دون غيره، والغريب أن لا اثنين على الأقل سيتفقا أبدا ليشيرا إلى نفس الشخص، لأن كل واحد سيشير إلى نفسه معتقدا أن باستطاعته وحده أن يصلح العالم، كلنا يشدنا هذا الهوس ولا أحد بيننا يستطيع أن يحكم حتى نفسه، لو يحدث هذا، فقط لو يحدث هذا لصلح العالم في رمشة عين، ولكن الأعين مغمضة عن الحق ولا أحد يريد ولو حتى أن يرمش. (يعود لسخريته) حب كبير!!

المفتش:

إن قيمته رمزية بحيث يمكن أن تدركها حتى دون أن تراها.

الطبيــب :

فلسفة.

المفتش:

(غير عابئ بمقاطعة الطبيب له) فعندما أضع علامة ضرب مثلا (يرسم علامة × كبيرة في الفضاء) وأطلب من مجموعة أشخاص أن يصفوا ما قمت به فإن المسألة لن تأخذ معهم كثيرا من الوقت أو الجهد ليعبر أغلبهم عن هذين الخطين الذين تقاطعا ليشكلا العلامة التي تحيل على المضاعفة.

الطبيــب :

(مقاطعا مرة أخرى) هذا علمي أكثر، ولكن ماذا أيضا بعد هذه الرياضيات؟.

المفتش:

قليل ضمنهم من سينتبه إلى كوني أيضا صنعت من خلال هذا العالم الكبير جدا عالما آخر أصغر، ربما الأصغر الذي يمكن أن يُرى بالعين المجردة، ولا تقاطعني فهذه ليست علوما بيولوجية (ينظر بتلميح إلى الطبيب) وأنا لا أتحدث عن ميكروب حقير،

الـطبيــب :

نقطة؟!! (يبادل المفتش نفس نظرته الملمحة) تقصد هذا الشيء الأصغر بكثير من أصغر دبابة؟!! (يدعك برجله) أكيد أنك تمزح، عليهم أن يتسكعوا بمكبرات ليصدقوك.

الـمـفـتـش:

ببعده الرمزي يمكن للحب أن يجتذب إليه الجماهير فيخفوا إليه بأجنحة رشيقة لا يسمع لها تصفيق (ضاربا بلطف بكفه على خد الطبيب).

الـطبيــب :

مسكين هذا الفراش، دائما ما تخدعه نفس النار.

الـمـفـتـش:

إنه نور، ولا يمكن لأحد أن يراه لأننا نرى بفضله وندرك أنه موجود دون أن نحدده لننتخبه، الحب أكبر من هذا الواجب بكثير بحيث تصبح المقارنة جلفا، ولكن معك حق إلى حد ما، فهناك دائما سؤال وإن كنت لا أظن أنه سيبقى معلقا طويلا، أتعرف ما هو؟ (يعود ليطبطب من جديد على خد الطبيب) إنه خد من؟

الـطبيــب :

(يتراجع وتصدر عنه حركة دفاع متوجسة عن خديه) لن يحسنوا الاختيار أبدا.

الـمـفـتـش:

عدت لتتحدث عن الانتخابات مرة أخرى، ليس دائما كل شيء يتم اختياره بالانتخابات.

الـطبيــب :

وخير دليل أنك مفتش، هل تظن أن مسؤولي باقي المستشفيات كانوا سينتخبونك لو أنهم خيروا فيك؟

الـمـفـتـش:

أخيرا تخليت عن كذبتك السخيفة!! (يلوّح أمامه بجريدة يخرجها من محفظته بصعوبة لأن باقة الزهور كانت تضايقه، ولذلك سيعض عليها بأسنانه، يفتح الجريدة على صفحة معينة، ثم يحاول الكلام ولكن الباقة تمنعه، يبحث بسرعة عن موضع يتخلص منها عليه وعندما لا يجد يضعها في المحفظة) كنت متأكدا أن كاتبة هذه المسرحية صادقة في كل حرف من فصولها.

الـطبيــب :

(مقاطعا باستغراب) مسرحية؟!!

الـمـفـتـش:

(يبحث من جديد داخل الغرفة ثم يتخلص بغيظ من محفظته على الأرض ليتمكن من أن يشير بدقة في الجريدة) الرغيف السابع.

الـطبيــب :

الرغـ.. السـ.. آه، نحن بصدد عرضها، ماذا عنها؟

الـمـفـتـش:

لا تتحامق، هل شاهدتها؟

الـطبيــب :

تعرف أنني لا يمكن أن أشاهدها، بما أنني أؤديها.

الـمـفـتـش:

(يمد نحوه بالجريدة) إذن فاقرأ بعض دورك فيها.

الـطبيــب :

أنا أدرى بدوري من أي كان.

المفتش:

(مقتربا بوجهه من وجه الطبيب) إذن فأنت تعرف أنك كنت رائعا، لا أحد يمكن أن يشك أنك كنت تمثل فقط.

الطبيب :

(متشمما) متأكد أنك لا تشربه؟!!

المفتش:

(متراجعا بجدعه فجأة) هه؟!!

الطبيب :

الحليب سيدي، لقد رفضت بشدة أن تشربه عندما قدمناه لك مع باقة الزهور قبل أن تخطو خطوتك الأولى داخل المستشفى لتباركنا بها، هكذا نستقبل عادة حتى وزيرا للداخلية، وأنت لست أقل شأنا ممن هم أكبر شأنا منك.

المفتش:

منطق مدهش، هل ما تتقنه أنت من الرياضيات هو هذا النوع المتفلسف؟!!

الطبيب :

إنها بالأحرى نصيحة، أسديها لك بالمجان (يتلفت يمينا ويسارا) فلتبق ذلك سرا بيننا (موشوشا) فعلى الرغم من أن الوزير صديق حميم إلا أنه لن يغفر لي هذه الحقيقة، (ملمحا بتهديد) وسلطته كما تعلم واسعة وأمره نافذ.

المفتش:

وأنا جئت بأمر من هذه السلطة أيضا (مشيرا إلى الجريدة بين يدي الطبيب) إنها تفضح كل الأسرار، ولذلك فكل سلطة عداها باطلة، بالرغم من أن جورا ما اختار أن يصنفها في مركز رابع، ولكنها تبقى في الأول والأخير صاحبة الجلالة على الرغم من كل الأنوف وأنفك بالأخص.

الطبيب :

أنا أيضا يمنحني النص حقا كبيرا في أن أتهم الآخرين.

المفتش:

ليس الآن على أية حال وأيا كان هذا النص الذي تتحدث عنه منذ البدء، كما أن الفرق بيني وبينك كبير، فأنا على الأقل أمنحك الفرصة لكي تدافع عن نفسك.

الطبيب :

(عيناه على الجريدة من جديد) حسنا (يقرأ) الرغيف السابع. (ثم يهمهم باسم مؤلفة المسرحية) ثريا، آهاه، هذا يوحي بالنور الذي يقهر الظلمة، (يشد على قبضته) ولكن ليس بالبعد كثيرا. (يقدم الجريدة للممرض الأول ويهمس له بأمر ما).

الممرض الأول :

(بنبرة عسكرية) حاضر سيدي. (يهمس مشيرا بحاجبيه إلى المفتش) وإن أردت تكلفت بهذا أيضا، (يتريث إذ يرى التردد في عيني الطبيب، ثم يضيف عندما لا يتلقى أمرا منه) أبدأ به إن أردت.

الطبيب :

لولا أن زيه الرسمي هذا يحميه لكنت شككت في عقله من أول جملة أصدر فيها ترهاته، ومع ذلك فأمره غريب حقا، لقد مرت علي أزياء من كل نوع ولم يثر قلقي واحدة منها قبل الآن، لا بأس، انصرف لشأنك أنت وأنا سأتدبر أمره (للمفتش بعد أن انصرف الممرض الأول) قلت لي إنك لا تشربه!!

المفتش:

(بغضب) لا، لا أشربه.

الـطبيــب :

فكيف تصدق مسرحية؟!!

الـمفـتـش:

إنه فن صادق.

الـطبيــب :

الجميع يعلم أننا نمثل، ولدينا اتفاق مسبق على هذه الكذبة مع الجمهور.

الـمفـتـش:

لو افترضت أن كلامك هذا لا يدين عقلك كما تود ربما أن توهمني منذ الأول فأنا لا أجد بدا من أن أتهم صدقك، وكلامك اعتراف منك بأنك كاذب.

الـطبيــب :

هذا من حكي المؤلفة.

الـمفـتـش:

أعرف، لقد اطلعت على النص بكامله، كان صريحا جدا ولم يمتلئ بالتلميح للأسماء والأماكن والتواريخ كما تصنع أغلب النصوص، وأنا أحيي هذه الجرأة في المؤلفة لأنها استطاعت أن تفضح حقيقتك.

الـطبيــب :

إنهن يبالغن ويختلقن، كيف تصدق امرأة.

الـمفـتـش:

إنها فنانة عظيمة ومن أبسط حقوقها علي أن أصدقها.

الـطبيــب :

لا لا، لا أصدق أنك لا تشربه.

الـمفـتـش:

قلت لا أشربه (يولي ظهره للطبيب مستقبلا باب الغرفة) فانس الأمر نهائيا.

الـطبيــب :

حسنا، فلننسه نهائيا، (محاولا تغيير الموضوع) خط جميل، أليس كذلك؟ تصور!! إنه لامرأة.

الـمفـتـش:

(يمعن في اللوحة) من يصدق هذا؟!!

الـطبيــب :

صدقني، إنها للخطاطة فضيلة، أسمح لها بطرح مواهبها بين حين وآخر.

الـمفـتـش:

(مقاطعا بحدة وناقرا على اللوحة) من يصدق أنها حقا غرفة للاختبارات الذهنية؟!!
(يفرد ذراعيه ليعبر عن فراغ الغرفة) من يصدق هذا؟!!

الـطبيــب :

ولماذا لا تصدق ذلك؟ إنها لفنانة عظيمة أيضا.

الـمفـتـش:

وأنت ترى أنها هكذا في وضع سليم؟

الـطبيــب :

(ينظر إلى اللوحة برأس مائلة) ربما تكون مقلوبة بالنسبة لهؤلاء المجانين. ماذا؟!! لا تغتظ، حسنا حسنا، لعلك تقصد الخطاطة لا الخط، لقد تأكد عندي جنونها قبل أن أصدر قراري بتخليص جدران المدينة من ريشتها، لم تدع ركنا إلا وكتبت عليه بخطها الجميل جدا عبارات قبيحة جدا، هل ترى؟ وجودها هنا يجعلها في المكان المناسب تماما.

الـمفـتـش:

أنا أقصد الغرفة، هل ترى أنها هكذا في وضع سليم؟ ألا تعتقد أن شيئا ما ينقصها؟!!

الطبيب :

(يتأمل المفتش) غريب!!

المفتش:

وما وجه الغرابة بالضبط؟ فأنا أيضا أجد في الأمر غرابة.

الطبيب :

عود صلب بالنسبة لمفتش شاب لا يشرب الحليب.

المفتش:

(يقترب أكثر) أنتظر جوابك، ودعك من التأرجح في الحوار، أفضل لك أن تكون كاذبا من أن تكون مجنونا، صدقني.

الطبيب :

(متشمما) أستغرب حقا كونك لا تشربه، ألم تشربه أبدا؟!!

المفتش:

(بنفاد صبر) الحليب طبعا؟ ولم أرضع من ثديي أمي، لذلك لا تستغرب أن تجد قلبي أقسى من عظامي (بصوت مرتفع) هل وضع الغرفة هكذا سليم؟

الطبيب :

مؤسف أنك لا تشربه، إنه يهدئ الأعصاب ويزيل التوتر.

المفتش:

(مقاطعا) سليم؟ سليم؟ سلـ أححح أح (تتملكه حشرجة).

لطبيب :

يا رجل (يدق على قفاه) إهتم فقط بسلامتك (يصرخ) العصير بسرعة.

المفتش:

(بصعوبة) ما، ماأح أحح.

الطبيب :

(يزيد من قوة الضربات على قفا المفتش صارخا في اتجاه الباب) قلت عصيرا، (للمفتش) وحالا سيحضر لتذهب غصتك، ولا تقل لي إنك لا تشربه. (يظهر في الحال الممرض الثاني بكأس وقنينة عصير) هل ترى كم أن خدماتنا سريعة ومناسبة، أتمنى فقط أن نكون قد وضعناها في مكانها الأنسب، إشرب، هيا، إشرب لتهدأ.

المفتش:

(باختناق) أححح كيف تطلب مني أن أشرب وأهدأ، إنها فا أح إنها فارغة، فارغة...

الطبيب :

متأسف سيدي (للممرض الثاني بغضب) املأ الكأس أيها الغبي.

المفتش:

أنا أقصد الغرفة، أح أح أي أي كفى لا لا، أح كفى ضربا، أين المعدات والأجهزة؟ أح أح آآآآي.

الطبيب :

الفراغ مرادف آخر للنظام لا غير، وأنا بذلك لا أترك مجالا للفوضى والعشوائية في اختباري للمجانين.

المفتش:

للمر، أح ح للمرة الأخ أح...

الطبيب :

اشرب سيدي اشرب، إنك تتعب حلقك بالكلام (للممرض الثاني) هل أكثرت (تريث) السكر وحركته جيدا؟.

المفتش:

لا أريد عحح عصيرا، ما أح أريده هح هو أح أن أح أن..

الطبيب :

أن تفهم فقط أين المعدات والأجهزة، (يعود إلى ضربه) أعرف أعرف.

المفتش:

كح، كفى كفى.

الطبيب :

أنت تجبرني على ضربك، فلتشرب إذن.

المفتش:

أخ أح أخبرني أو أح أو أح.

الطبيب :

أخبرك أولا؟ وكيف ستسمعني وحنجرتك تكاد تتمزق، لا لا، لا تجادل في علاقة حنجرتك بأذنيك، ولأنفك أيضا علاقة بالموضوع، هذا لم يعد يحتاج إلى معرفة طبية لكي نفهمه، اشرب، (رافعا كفه) فلتشرب.

المفتش:

هح، هح هذا يكفي، هاح، هات. (يشرب بمرارة).

الطبيب :

ألم تذهب غصتك بعد؟ تريد المزيد؟

المفتش:

أريدك أن تكف عن هذا الضرب أولا، لا علاقة لقفاي بحنجرتي إلا في تخصص بعيد جدا عن الطب.

الطبيب :

تريد أن تخرج مرة أخرى عن النص؟!!

المفتش:

ما أريده فقط هو أن أرى المعدات والأجهزة.

الطبيب :

(يفرد ذراعيه ويدور في الغرفة) ومع ذلك فمن هذا الفراغ تخرج الحقيقة المطلقة (يقف أمام المفتش ويشير إلى رأسه) العقل سيدي، العقل.

المفتش:

وأنا أريد أن أرى المعدات والأجهزة، (يمسك على بطنه فجأة متألما) وبعد ذلك فلتخرج الأمعاء إن أرادت.

الطبيب :

لا لا، هنا لا يخرج إلا العقل سيدي.

المفتش:

صرت مقتنعا بذلك (بألم أكبر) وماذا عن المراحيض؟

الطبيب :

إنها في الطرف الآخر، مباشرة بعد مدخل المستشفى، (بخبث) سنزورها في آخر جولتنا بعد أن نتفقد المعدات والأجهزة في غرفة الصيانة ونزور باقي الغرف.

المفتش:

(متحسسا بطنه بألم) لا أعتقد أنني سأأجل الأمر أكثر من هذا.

الطبيب :

تصرا!! كأن للأمر صلة بتلك النقطة في علامة الضرب، أرى أخيرا أن المكان المناسب قد اجتذبك إليه، وربما تكون محقا، فتفاصيل المؤسسات العمومية لا يحكيها أحد

المفتش:

أما هذا فسأقف على حقيقته في الحال.

الطبيب :

(يهم ليرافق المفتش) حسنا، هيا بنا.

المفتش:

(يحمل محفظته من على الأرض وينطلق مهرولا) ولكنها زيارة غير رسمية بالمرة.

الطبيب :

(للممرض ضاحكا) يمكنه إن أراد أن يسد ثقبي أنفه لكي لا يرانا، أما نحن فسنطفئ الأنوار، لعلنا لا نشم رائحته. (يضغط على زر الكهرباء).

إظلام

المشهد الثاني

(قارب وصيادان). ينزلق الصيادان بالقارب ببطء من يمين الخشبة إلى يسارها بتجديف خفيف من طرف الصياد الشاب، بينما الصياد العجوز يدلي قصبته خارج القارب.

تتم إنارة مقدمة الخشبة (البحر) شيئا فشيئا مع تقدم القارب فيها، بحيث يبدو أن للأمر علاقة بالفانوس المعلق في أعلى السارية.

الصياد الشاب:

لا شيء اليوم أيضا؟!!

الصياد العجوز :

لا.

الصياد الشاب:

ولكن القصبة تتحرك في يديك.

الصياد العجوز :

إنه تجديفك، واصله ببطء.

الصياد الشاب:

ربما أنها سمكة صغيرة بحيث لا يبدو شدها للخيط ذا بال.

الصياد العجوز :

ربما.

الصياد الشاب:

هل أتوقف عن التجديف؟

الصياد العجوز :

خفف من سرعته فقط.

الصياد الشاب:

ألن تجذب السمكة؟

الصياد العجوز :

لعلها أصغر من أن يكون حتى عشرات منها وليمة لأي منا، فلنتركها طعما لسمكة أكبر.

الصياد الشـاب:

أو لعل ما يحرك القصبة ليس سوى الرعاش الذي صار ينتاب يديك فاضحا تقدمك المخزي في السن.

الصياد العجوز :

أنا على نفس حالتي من الجمود منذ ساعة، وهذا الرذاذ كفيل بأن يرعش الشحم بداخلك لولا أنك تجدف.

الصياد الشـاب:

هل نتبادل دورينا لتعرف أن ماي أيضا لا يرحم؟

الصياد العجوز :

وماذا تنتظر آخر من البحر غير هذه الحيرة وشكاوى العالم لفيافيه حتى ما عادت غير الحرتوكة[1] تحتمل، كل الأسماك عداها فرت نحو القاع الرحيم.

الصياد الشـاب:

(يحدق حول الزورق) أما من شيء آخر غير حكاية هذا المفتش مع الطبيب؟

الصياد العجوز :

(ينحني ليلتقط شيئا من الماء) فقط هذه الزهور (يرمي بها مرة أخرى في الماء، ثم متأففا): بلاستيكية وبرائحة كريهة. (تنفعل قصبته فينثرها خارج الماء بغير حيوية) وهذه الحرتوكة التي لا تناسب أبدا هذا الفصل الساخن (يرمي السمكة داخل القارب) وكأن البحر أرسلها ليعاقبنا بها، لقد بعت حصتي من صيد أمس بمشقة وبثمن عشاء متواضع لشخص واحد. (يعود ليدلي قصبته في الماء) لحسن الحظ أن زوجتي في آخر أيام حملها تصبح هي أيضا بشهية متواضعة.

الصياد الشـاب:

لا أسماك ذات قيمة تذكر منذ أيام، أو حتى كلمة طيبة نرطب بها هذا الاختناق (يفك زرا من قميصه بتوتر) هل تعتقد أن الشاعرة استنفدت ما بجعبتها فتركت مكانها لمن يليها في الطابور؟

الصياد العجوز :

لا معنى آخر لما توصلنا به في كيس اليوم غير هذا الذي قلت، لقد تعودنا من الشاعرة أن تحكي في قالب موزون وموسيقي حتى وهي تستنجد، كما أن التوقيع مختلف تماما.

الصياد الشـاب:

(تكف يداه للحظة عن تجديفهما ويمعن من مكانه في شيء ما أمامه) ث.ج، ويبدو من خلال الأسلوب أنها ناقدة مسرحية، أراها تساءلت كثيرا بخصوص نزلاء هذه المستشفى التي قالت بأنها تستغرب كون أغلبهم من مشاهير المبدعات.

الصياد العجوز :

وهل يصنع منها ذلك ناقدة مسرحية؟!! أنا أيضا تساءلت بخصوص هذا ولم تتحول القصبة في يدي إلى سوط.

الصياد الشـاب:

(مقاطعا) قلت ناقدة، ناقدة وليس جلادة، أعرف أعرف، ولكنها عندما قالت بأنها ستضرب بسوط طويل يصل إلى أبعد ركن في الخشبة فإنما كانت تقصد بذلك نقدها، وهذا بالضبط هو ما رجح عندي أنها ناقدة مسرحية، كما أنك أنت اكتفيت كالجاهل بالتساؤل، أما هي فكانت كلما تساءلت إلا وعادت بسرعة لتجيب نفسها بطريقة النقاد الكبار.

الصياد العجوز :

فعلا، لقد أثارني ذلك، وأثارني أكثر كون هذا لم يكفها لتقتنع بأنها مجنونة بحق وأن

الصياد الشـاب:

ربما يكون معها حق، أنا شخصيا لا زلت أستشير زوجتي دون أن أعمل برأيها.

الصياد العجوز :

أما أنا فقد تعلقت بالشاعرة أكثر من غيرها، هذا كل ما في الأمر، ولا أعتقد أن أحدا يمكن أن يأتي بعدها ليضاهيها في هذا التقليد.

الصياد الشـاب:

(مستنكرا) تقليد؟!! لا لا. لا أظن، وإن كانت فكرة الأكياس البلاستيكية لا تبتعد كثيرا عن فكرة القنينات الزجاجية.

الصياد العجوز :

تقصد أن محتوى الكيس يجعل من الأمر حالة جديدة ليس فيها تقليد؟

الصياد الشـاب:

بل أن يستنجد ببحارة أناس من اليابسة، هل تظن أن ذلك تقليد فقط؟

الصياد العجوز :

معك حق، إنه تقليد مجنون.

الصياد الشـاب:

أما أنا فقد منحني كلام هذه الناقدة إحساسا بأن في الأمر خطرا محدقا.

الصياد العجوز :

ما فكرت أن تقوم به هذه المبدعات مسل فقط، وهذه الناقدة التي تتحدث عنها بهذا القلق تعرف أكثر من غيرها أن الفرق بين ما هو تراجيدي وما هو كوميدي هو الفرق ما بين إنسان عندما يعضه كلب وإنسان عندما يعض كلبا، وهذا تماما هو ما يحصل معنا الآن.

الصياد الشـاب:

(ضاحكا) ولك دراية بالنقد إلى هذا الحد؟!!

الصياد العجوز :

وبالشعر أكثر، ولكن العالم في حاجة إلى بعض الصيادين أيضا. آه يا صديقي، كم كنت أتمنى لو أن زوجتي تجيد هذا النوع من التعبير، ولكنها لا تجيد حتى الاستماع إليه، تصور!! لقد قرأت لها أول أمس واحدة من قصائد الشاعرة فارتابت في أمري، خصوصا أن يديّ شحّتا طوال الأسبوعين الأخيرين، لا تصدق أن البحر نفسه يمكن أن يشح، قالت لي (يتردد) قالت، قالت إنني (يهمس في أذن الصياد الشاب).

الصياد الشـاب:

(يكتم ضحكة) لا لا. هذا جلف. كان عليها أن تكون أول من يشجع هذه المرأة التي استطاعت أن تتطاول على عالم بكامله دون أن يكون لسانها سليطا، واستطاعت أيضا أن تحرك مشاعرك لتجعلها أحن من يديك الخشنتين، هل قالت عنك حقا بأنك، بأنك (ينفجر ضاحكا).

الصياد العجوز :

تضحك؟ أنت الذي حتى لم تجرؤ لتردد على مسمع زوجتك ولو بيتا واحدا من قصائد الشاعرة.

الصياد الشـاب:

بل فعلت، (بمرارة) صدقني فعلت.

الصياد العجوز :

إذن فقد كنت غبيا عندما اعتقدت أن هذا التورد الذي يزداد توهجا في خديك منذ أسبوعين هو من فرط تناولك للحرتوكة.

الصياد الشـاب:

لالا، لم تكن غبيا، هل حدست هذا فعلا؟!! أصبحت حقا لماحا، ومنذ وفاة زوجتك الأولى وأنا أرى الانتعاش يقبل راقصا على يدي زوجتك الجديدة، وإن كنت أرى أنك لا زلت لا تجيد إلا الإنجاب كالأرانب، أما أنا فأكون في كل مرة رومانسيا جدا قبل أي شيء آخر.

الصياد العجوز :

ولكنني الآن تأكدت أن زوجتك كانت ترد القصائد في وجهك مما صار يمنح خديك كل هذا الاحمرار.

الصياد الشـاب:

زوجتي؟ لقد كانت على عكس ما تظن تتفاعل مع إلقائي كقصبة مع سمكة، حتى إنها كانت ترافق قراءتي للأشعار بألحان من إبداعها الشخصي غالبا ما كانت تناسب الإيقاع المصدع للقصائد.

الصياد العجوز :

أخبرني بما هو أغرب من هذا الأمر وسألقي بنفسي في البحر لتصدق أن الأمر فعلا أغرب من أن يصدقه أحد، لم يعد بمقدور امرأة بهذه الموهبة أن تحبس فنها عن العالم.

الصياد الشـاب:

ذلك أنها هي نفسها لا تعلم شيئا عن هذه الموهبة.

الصياد العجوز :

إما أنك تمزح أو أنك فقط تحب أن تستمتع برؤية هذه الجراء البحرية وهي تلتهمني.

الصياد الشـاب:

لا أمزح، (مبديا سأما من مداراته لأمر ما ومفجرا شيئا من طاقة تذمره في المجدافين بحيث سيأخذ القارب في الانزلاق بسرعة أكبر) وكيف تريدها أن تعلم بذلك إذا كانت تفضل في كل مرة ألا تمارس شخيرها إلا بعد أن تنام؟ (يبدأ الجزء الأمامي للقارب في الاختفاء ومعه الصياد الشاب، يليهما الفانوس المعلق في السارية مما سيترتب عليه خفوت الإنارة شيئا فشيئا).

الصياد العجوز :

(متفاجئا ومتخللٌ بعض الضحك المتقطع كلماته) ماذا؟!! شاهاهاشخيهيهي. الآن فقط عرفت السبب الحقيقي لهذا التورد في خديك، قلت شخيهيهي، شخير؟!! (في هذه الأثناء يكون قد اختفى الجزء المتبقي من القارب والذي كان يظهر فيه الصياد العجوز بقصبته فلا يسمع بالتالي إلا صوته مع قهقهته التي ستخفت إلى أن تختفي مع اختفاء النور) لقد صفقت لها دون شك بحماس بالغ.

إظلام

المشهد الثالث

يفتح الممرض الثاني باب غرفة الاختبارات، ثم ينيرها بالضغط على زر الكهرباء.

(إنارة).

يدخل بعد ذلك الطبيب ثم يغلق باب الغرفة وراءه وعلامات التساؤل والحيرة بادية عليه.

الـطبيــب :

(لنفسه) كيف لا يشرب الحليب ومخه متكلس؟!! لا يريد أن يفهم بأن هناك من هم في علو شاهق ولن

يسمحوا أبدا بسقوطي لأنه سوف يتسبب حتما في سقوطهم، (للممرض) كثيرون هم الذين سوف يتساقطون كالأحصنة في شريط لرعاة البقر.

الممرض الثاني:

أنا شخصيا بحجم نملة بحيث لا يمكن لسقطة أيا كان الارتفاع أن تؤذيني.

الـطبيــب :

(بلكنة مهددة) إلا إذا تهاوت عليك أجسام متساقطة من علو شاهق، لن تكتفي بإيذائك لأنها ستسحقك. كلنا

في قبضة بعضنا (بارتياح) ولو كنت تأخرت بالعصير قليلا لعرفت كم هي فعلا ثقيلة بعض الأجسام.

الممرض الثاني:

ليس ذنبي أنك لا تريد أن تقتني مشروبات أخرى للطوارئ بدل الحليب وحده، ولولا أن المؤونة من الليمون لم يستلمها بعد أحمد الفكهاني لما تمكنت من تدارك الموقف في آخر حظة.

الـطبيــب :

(يرفع بصره للسماء) يا إلهي، لو تنجيني من هذه فلن أكون بخيلا بعد اليوم، أقسم إنني سأقدم كل ما لذ وطاب من أصناف المشروبات، ولولا أن الحبوب المسهلة لا تذوب في غير السوائل لقدمت أصنافا من اللحوم يأكلون أصابعهم وراءها.

الممرض الثاني:

(يضحك) ندما طبعا.

الـطبيــب :

(مشيرا عشوائيا وعلى التوالي إلى نقطتين متقاربتين) من الباب للباب.

الممرض الثاني:

(بحركة مقصية) للباب مرة أخرى.

(يحدث طرق).

الـطبيــب :

(لنفسه) يبدو أننا أكثرنا من حديثنا عن الباب. (بصوت مرتفع) أدخل.

(يدخل الممرض الأول بخطوات عسكرية لها وقع).

الممرض الأول :

إنها المجنونة الجديدة سيدي، (يمد نحو الطبيب بمخطوط) وهذا مخطوط المسرحية دليل إدانتها، تسلمته من المخرج مقابل عدم اعتقاله أيضا، أرجو أن

الـطبيــب :

(يتناول المخطوط بفرح بالغ) المخرج لا يساوي شيئا بدون مؤلفة. (يعطي للممرض إشارة آذنة فيصفق الممرض آذنا بدوره، تدخل المؤلفة أولا ثم تلحق بها مساعدتان طبيتان بأزياء غير رسمية لتحيطا بها) أطفئ النور لأرى إن لم يكن الأمر مجرد حلم (ينفذ الممرض الأمر بمرح) بالتأكيد أنني لا أحلم، لا أراها في الظلام أيضا، عد لتشعل النور لكي أتأكد أنني لم أكن نائما والآن استيقظت فقط، ثم بعد ذلك قيدها لأرى هذا الحصن المنيع وهو يخضع أخيرا.

الممرض الأول :

(بفخر وهو يقيد ثريا بعد أن أنار المصباح من جديد) لقد ظلت محتمية بدورها كميتة، ولكن الحيلة لم تكن لتعوزني لآتيك بها حتى وإن كنت وجدتهم دفنوها.

الـطبيــب :

(مقتربا من النساء) وكيف تصرفت؟

الممرض الأول :

هددتها بأن أحرم جمهورها من بقية العرض إذا هي لم تحضر معنا.

الـطبيــب :

(باستغراب) وتتحدث عن حيلة؟!! (متفرسا في وجوه النساء) وأين المجنونة بين هؤلاء. (تتراجع النساء للوراء تاركين الممرض في المقدمة فيخاطبه الطبيب) إنه فعلا جنون هذا الذي أقدمت عليه. (تنفجر النساء ضاحكات فيوجه الطبيب خطابه إليهن هذه المرة) ضحكة هستيرية يستحق صاحبها علاجا عاجلا. (تتوقف المساعدتان فجأة عن الضحك وتستمر المؤلفة فيعود الطبيب ليخاطب الممرض) هذه مثلا حيلة، ماذا كان سيحدث لو أن أحدا من الجمهور أدرك أن أمر اعتقالها لم يكن يشكل جزءا من العرض؟

الممرض الأول :

كنت سأعتقله**.**

الـطبيــب :

ولكننا لا نملك سلطة إلا على كل مجنون، فكيف كنا سنبرر تصرفك الأهوج لو أنك كنت قمت فعلا باعتقال واحد من الجماهير؟

الممرض الأول :

لم يكن ليتدخل أحد إلا إذا كان يحبها بجنون**.**

الـطبيــب :

في هذه الحالة سنكون أمام حب كبير لا أمام جنون.

الممرض الأول :

حب كبير؟!!

الـطبيــب :

لن تفهم، فلنقل أمام مشكلة كبيرة، فحتى إذا كان هذا المستشفى واسعا كجهنم فإنه لا أحد سيجرؤ ليعتقل الجماهير (للمساعدتين) وأنتما، أين زيكما الرسمي؟ تعلمان أن لا فرق بين مجنون وعاقل عندي إلا بالزي الرسمي**.**

الممرض الأول :

لقد نكّرتهما ونحن آيبون في زي معوزتين حتى لا تمثل عليهما ثريا دور المضطهدة.

الـطبيــب :

(للمساعدتين) كنتما ستشفقان عليها؟

الممرض الأول :

ومن تجرؤ منهما أن تخون القسم؟ لا لا سيدي، ولكنني فكرت أنه قد لا يسرك أن تعرف أن ثريا نالت منهما شيئا من التصفيق ولو بمقدار ما قد يحدثه جناحا بعوضة.

الـطبيــب :

حسنا، لا بأس. (متوجها نحو المؤلفة) أهلا ثريا (للممرض بغضب) ولماذا لم تلبسوها بذلة المجانين؟ إنها كاتبة شرسة، أنظر إلى أظافرها لتعرف حجم الخسائر التي يمكن أن نتكبدها جميعا لو أنها ثارت في وجوهنا.

الممرض الأول :

لقد وعدتنا بأن تبقى هادئة فلم نر داعيا لتقييدها.

الـطبيــب :

وصدقتها؟!! إنها ممثلة بارعة وحرفتها الكذب أولا، تؤلفه وتؤدّيه لتؤذينا به.

ثــريــا :

(بكل هدوء) بل أنا ممثلة لأنني أقدم المثال على انحرافكم، ثم لماذا لا تحاولون أنت وكل أولئك الذين ننتقدهم في كتاباتنا المسرحية ولا يتقبلون مثلك ذلك أن تكتبوا لتردوا على نقدنا لكم بنقد مضاد تدافعون به عن مواقفكم وتهاجموننا أيضا؟.

الـطبيــب :

أنتم من في منزلة الحاقد لا نحن، كما أن مسؤولياتنا الكثيرة لا تترك لنا من وقت الفراغ ما يسمح لنا بأن نمارس هواية شريرة من هذا القبيل.

ثــريــا :

إنها هاوية نحن من سوف نتعقبكم بها إلى أن ندفن فيها شركم.

الـطبيــب :

تعرفين أنك أنت من صنعت مني ما أنا عليه الآن، وأنا إذ آمر بتقييدك فإنما أنفذ أوامرك بأن ألتزم بالنص جهد المستطاع. (للممرض) ألبسوها البذلة قبل أن يحضر المفتش من المرحاض، لا أريد مزيدا من الإحراج معه. (يلبسونها دون أن تبدي أدنى مقاومة) هذا من ضمن كيدهن فلا تأمنهن أبدا حتى وهن مقيدات كالبعير.

ثــريــا :

(بهدوء دائما) يمكنك أن تنتزعني من فوق الخشبة بعدد المرات التي تريد، لكنك لن تنتزعني من كامل حريتي أبدا حتى وأنت تقيدني كالبعير.

(يشير الطبيب للممرض الأول بحركة قطع من إصبعيه السبابة والوسطى وهو يتطلع ناحية الباب)

حريتي أبعد بكثير عن متناول شفرتي مقصك، حتى وأنا بغير لسان يمكن أن أبقى حرة، حتى وأنت تخلع أظافري لا يمكن أن تجعل مني حملا بأظلاف (يتطلع الطبيب ناحية الباب بنفاد صبر) حتى وأنت تسلط مقصك

الـطبيــب :

(للممرض بعنف) من المفروض أن يكون المفتش قد عاد من بيت الخلاء قبل أن تتمكن المؤلفة من بدء محاضرتها (لثريا) كل هذا مرتجل، كيف تسمحين لنفسك بأن تخرجي عن النص؟

ثــريــا :

(تبدو غير فاهمة) نص؟ حريتي أكبر من أن يقيدها أي نص.

الـطبيــب :

(متطلعا من جديد ناحية الباب) لقد تأخر كثيرا (للممرض) هل بالغت في مقدار المسهل؟ (ثم لثريا في نفس النفس) أم أن هذه إضافة في النص تقصدين بها إحراجي؟ (يلوح بالنص المسرحي في كل اتجاه) أنا من يقرر في هذه المستشفى بأمر من قوانينها الداخلية لا بهوى هذا الهراء الذي تظنين أن باستطاعته أن يعيد صناعة العالم بالشكل الصحيح (يبدأ بتوتر واضح في تقليب صفحات المسرحية) وبحكم سلطتي هنا سأحذف هذا المشهد الذي لا طائل أراه من ورائه (يهمهم باحثا بين الصفحات) أين أين أين؟، كنت سأُقنع هذا العنيد بأي وجه أراد، لكن بهذا الحذف يمكن أن تكون النتيجة مضمونة، كما سأوفر بها طاقة قد أحتاجها فيما هو أهم (يستمر في تقليب الصفحات) أين أين؟.

ثــريــا :

(للممرض) هل حالته نادرة لدرجة أنك لا تستطيع أن تصنفها؟!! أم أنكم ألفتم أن يسير العالم بزي رسمي حتى لو.. (تتوقف فجأة فاغرة فمها في الطبيب).

الـطبيــب :

(يأخذ في تمزيق بعض الصفحات من مخطوط المسرحية صفحة صفحة) هذا هو، (ممزقا صفحة أولى وملوحا بها أمام النظرات المشفقة لثريا) ستصمت.

ثــريــا :

لا لا، وزيك الأبيض يملك مثله حتى الجزارون، وهم على الأقل لم يعدموا الأبقار المجنونة إلا بعد إذن دولي.

الـطبيــب :

لم تصمت (يمزق صفحة ثانية) ستصمت.

ثــريــا :

لا لا، وما أكتبه أحسه أولا وأنت لن تطال أبدا إلا الورق لتمزقه، ليتك تفهم ولكنك مجنون.

الـطبيــب :

لم تصمت (يمزق صفحة أخرى) ستصمت.

ثــريــا :

لا لا، وسأكرر ذلك ما حييت، مجنون، أنت مجنون...

الـطبيــب :

لم تصمت (يمزق صفحة أخرى) هذه آخر صفحة في هذا المشهد ولذلك عليها أن تصمت (يمزق الورقة قطعا صغيرة) ستصمت ستصمت ستصمت (لثريا التي أخرسها صراخ الطبيب بجنون) من المفروض طبعا أن المفتش هو من كنتِ قررتِ له في مسرحيتك أن ينهي هذا المشهد، ولكن نظرا لهذه الظروف الطارئة أجدني مضطرا أن أقوم بذلك بنفسي، (للممرض والمساعدتين) أيتها الملائكة الرحيمة (يتنحنح مبديا تردده) احم، إن هذا لصعب، في كل مرة أصدر فيها هذا الأمر أجد نفس المرارة تشد على حلقي، لا لا، هذا ليس ندما أو إحساسا بالذنب، لا، إطلاقا، وليس خوفا ولو حتى من الجمهور الذي يعرف جيدا أن هذا يفرضه الواقع وليس أنا، فلماذا يحتج أو يتذمر أو حتى يثور، قد يغضبه كوني هكذا سأقلص قليلا من عمر العرض والفرجة، ولكن انتقال عدوى هذا الجنون يتم بأسرع من انتقال مفعول مخدر المتعة عبر شرايين المتفرجين (للجمهور) تجدونني قاسيا؟!! صدقوني، أنا فعلا أحبكم وأحميكم بقسوتي (للممرضين والمساعدتين) أيتها الملائكة الرحيمة، فلتحجبوا عنها الرؤية حتى لا تصبح على يقين مما اتهمتنا به في مسرحيتها، (ثم كأنه ينتزع الكلمات مرغما ومشيرا نحو ثريا بطريقة مبالغ في مسرحتها) ولتأخذوها.

(وقبل أن تنطلق بها المساعدتان يحجب الممرض بصرها بوضع كل رأسها داخل كيس من القماش الأسود).

إظلام

الفصل الثاني

المشهد الأول

الظلمة تعم كل الخشبة.

تنار غرفة الاختبارات الذهنية فيظهر الممثلون بنفس التوزيع الذي كانوا عليه عند أول ظهور لهم مجتمعين في المشهد الثالث من الفصل الأول، أي مباشرة بعد دخول المساعدتين خلف ثريا.

يشرع الممرض الأول في تقييد ثريا بعد أن يكون قد أتى بحركة تنم عن كونه هو من أنار لتوه مصباح الغرفة.

يحافظ الطبيب للحظة على حالة جمود يده التي أشار بها لثريا عندما أمر بأخذها، ثم يتحرك بعد ذلك في تحية ختامية للجمهور (من المحتمل أن يصفق الجمهور).

الـطبيــب :

شكرا شكرا، (يستوي) شرّفنا حضوركم في هذا العرض الذي شارك في تشخيصه لكم (يشير ناحية الباب) في دور المفتش: السيد (ينتظر، بينما يتقدم المفتش مهرولا عبر الباب).

الـمـفـتـش:

(متدخلا في خطاب الطبيب) هل تتمرن على تقديمي لنزلاء المستشفى؟ (يقف قرب الطبيب) ظننت مع تلك الوعكة أنني سأعتذر عن لقائهم.

الـطبيــب :

أتمنى أن تكون قد بارحتك آلامك.

الـمـفـتـش:

(متنفسا الصعداء) أنا الآن أحسن.

الـطبيــب :

(يمرر يده على ظهر المفتش) يبدو متصلبا أكثر من قبل (يستوقف يده عند حدود قفا المفتش ثم يأرجحه بلطف) أرني.

الـمـفـتـش:

(يتجمع) صدقني، أنا الآن أحسن.

الـطبيــب :

(من بين أسنانه) إذن أرني تحسنك بانحناءة تليق بهذه النهاية.

الـمـفـتـش:

لم ينته شيء بعد.

ثــريــا :

ما أراه يفوق كل ما تخيلته عن مستشفيات الأمراض العقلية، جن الطبيب!!.

الممرض الأول :

(منهمكا في تقييد ثريا) هل أكمم فمها أيضا لتطمئن أن هذا الحصن المنيع كان مشيدا من الرمال بحيث لن يحدث دكه ضجيجا يذكر؟

الـطبيــب :

(منتبها باستغراب) ألم تكن هذه مقيدة قبل الآن؟!!

الممرض الأول :

لقد أنرت المصباح لتوي، (ضاحكا) ولم يكن ممكنا طبعا أن أصنع ربطة أنيقة لضيفتنا في الظلام.

الـطبيــب :

(متلفتا في كل اتجاه) ماذا؟!! وكم استغرق الإظلام؟

الممرض الأول :

الوقت الكافي لتتأكد أن اعتقالنا للمؤلفة لم يكن مجرد حلم.

الـطبيــب :

ألا تملك ساعة في معصمك لتغنيني بها عن ألغازك؟ (يلوح بيمناه متوعدا فينتبه إلى مخطوط المسرحية سليما في قبضتها وحينها يمسك بيده اليسرى على رأسه مدمدما) يا إلهي، هل صَدَقَت المؤلفة وكانت على حق حتى داخل رأسي وجن الطبيب؟

الـمـفـتـش:

(مقاطعا بخبث) لا لا أرجوك، ليس الآن وقت ذلك، لازلت مصرا على المعاينة والتفتيش، وإن كنت لا أنكر أن المراحيض أثارت إعجابي بحق.

الـطبيــب :

(لنفسه وبحركات متذكرة) لا لا، لم أجن، لقد كنت أحلم فقط. (بصوت مرتفع كأنما يحاول أن يقنع نفسه) من حقنا جميعا أن نحلم.

الـمـفـتـش:

لا لا، إنه حقا بيت راحة من درجة رفيعة**.**

الـطبيــب :

(متداركا بحرج) أرأيت؟ أرأيت كم أن مستشفانا مريح؟ (لنفسه كأنه لم يصدق بعد) حلم؟ مجرد حلم؟!!

الـمـفـتـش:

(متحسسا بطنه باستمتاع) مع أثاثه الحديث وتجهيزه النقي والمريح يمكن للمرء أن ينسى آلامه نهائيا.

الـطبيــب :

هذا شرف عظيم لمستشفانا، شهادة سأدونها وأعلقها على بوابته.

الـمـفـتـش:

(ويده دائما على بطنه) فلننتظر ريثما نكمل جولتنا بسلام، هل ننطلق؟

الـطبيــب :

لدينا حالة جديدة سيدي، وإذا سمحتم عاينتها أولا.

الـمـفـتـش:

طبعا طبعا، هذه فرصة جيدة لأقف على جدوى هذا الفراغ تطبيقيا**.**

الـطبيــب :

(لثريا متصفحا مخطوط المسرحية) تقولين في هذه الفقرة على لسان النزيلة التي تؤدين دورها بنفسك بأن حالة من الجنون عصفت بك إثر معرفتك بالاختلاسات التي تقع بمستشفى الأمراض العقلية والنفسية، وبأنك لا تحبين أن تتخلصي منها قبل أن يتخلى الوزراء الحاليون عن كراسيهم في الوزارة.

ثــريــا :

هذا أقل ما يمكن أن أقوله تضامنا مع..

الـطبيــب :

(مقاطعا) فلتأخذوها (للممرض الثاني) ذكرني أن أطلق سراحها عندما يقرر السادة الوزراء أن يتخلوا عن كراسيهم ليقتعدوا حصيرا.

الـمـفـتـش:

انتظروا. (للمؤلفة) هل أنت صاحبة الرغيف السابع؟

ثــريــا :

أجل أنا.

الـطبيــب :

وأعدَّت طبعا ست أرغفة قبله.

ثــريــا :

ولديّ مزيد، (باعتزاز) فران وقاد بحومة[2].

الـطبيــب :

فران مشتعل حان وقت إخماد نيرانه.

الـمـفـتـش:

(ينتزع مخطوط المسرحية من الطبيب) هذا مثال حي عن الحب الذي حدثتك عنه.

الـطبيــب :

الحب الكبير؟!! المؤلفة؟!!

الـمـفـتـش:

لا، أنت مخطئ، إنها ثريا بالضبط، هي أولا رمز قبل كل شيء، ثم هي في الأخير أيضا مجرد رمز قد يدق الجمهور من أجله عنقي.

الـطبيــب :

هذه الممثلة؟!! رمز؟!!

الـمـفـتـش:

رمز لوطن حقيقي، تبدع فيه امرأة ورجل معا.

الـطبيــب :

تتحدث عن الحرية والعدالة و..

الـمـفـتـش:

التوازن فقط. حتى الطبيعة يلزمها هذا التوازن ليستمر عالمها.

ثــريــا :

(متدخلة في حوارهما) وعلى الحكومات أن تفرض ضمن قوانينها على ساسة المواطنين بما فيهم رجال الاقتصاد والثقافة وغيرهم أن تكون مقرات سكناهم في الأحياء الشعبية والفقيرة طوال فترة قيامهم بمهامهم داخل الوزارات والإدارات التابعة لها حتى يسود هذا التوازن في وجدان الناس وفكرهم.

الـمـفـتـش:

ولكنه هكذا لن يسود للأسف إلا ككذبة إجبارية.

الـطبيــب :

ولن يسود إلا في العاصمة.

ثــريــا :

لا تكترث، قوانين الموضة تفرض أن تنتشر الموضات من العواصم غالبا.

الـطبيــب :

موضة سياسية؟!!

ثــريــا :

لا يهم أن يسود التوازن كموضة أو ككذبة، ألأهم أن يسود ليملأ الفراغ الحاصل من جراء سرقة الكبار للصغار.

المـفـتـش:

إذن فقد كنت تعنين فعلا ما تقولين حين كتبت (يتصفح المسرحية للحظة ثم يقرأ) وأن الميزانية لهذه السنة نهبت هي أيضا عن آخرها دون أن يصرف منها شيء لتعويض ما سبق أن نهب من معدات وأجهزة!!

الـطبيــب :

هذا هراء، ليس الأمر تحقيقا صحافيا، إنها مجرد مسرحية منشورة بعض مشاهـدها في صحيفة، ولو كان الأمر غير ذلك لتـدخل وزراء كثيرون كانوا يحتلون الصفوف الأولى عندما عرضت المسرحية أول أمس.

المـفـتـش:

(للكاتبة) هل تملكين أدلة على اتهاماتك؟

ثــريــا :

أي سر قد يكون أكثر انتشارا من هذا؟ لو باض الديك لستر فضيحته ولما اعتبر أنه أنجز معجزة تستحق أن يظل مفاخرا بيننا بها مثلما لا يكف هذا الطبيب يفعل متحديا أن لا يكون لكل واحد ثمن مقابل عماه وخرسه، يظن نفسه فوق القانون أو أن ساعة الحق لن تدق على رأس هذا الأخطبوط ما دام هو واحدا من أدرعه المخلصة، (للطبيب): قضاءنا عليك ليس الأهم ولكنه خطوة نحو تخلصنا من هذا الباطل المستبد.

المـفـتـش:

ولكن هل تملكين دليلا؟ الحق لن يعتد بإجماعكم دون دليل أن هذا الحمار الذي يركبه الباطل ليس ملكا له حتى لو كان ملكا للحق نفسه.

ثــريــا :

إنه ليس حمارا ليسهل تخلينا عنه، ولكنه حصان عربي أصيل.

المـفـتـش:

هذا يلزمه إثبات أكبر من إثباتك بكون المستشفى تتعرض لاختلاس الطبيب.

ثــريــا :

لا تقصر جولتك على المراحيض وستعرف أن المستشفى غير مجهزة إطلاقا (تصرخ) فارغة فارغة.

الـطبيــب :

بل ممتلئة ممتلئة.

ثــريــا :

جيوبك، وهذه هي الحقيقة المطلقة الوحيدة لحد الآن.

الـطبيــب :

(متنقلا بخفة محتجا يطلعهم واحدا واحدا على محتوى جيوبه) سجلوا مظلمتي وكونوا شهودي (للممرض الأول) قلم حبر جاف، هل يدينني هذا في شيء؟ (للمساعدة الأولى) ختم، ختمي الخاص ولا آمن عليه إلا وهو في جيبي (للمساعدة الثانية) أذون دخول موقعة من أطباء المستشفيات الفرعية، تعرفون أنني لا أقوم بغير التصديق على مدة الإقامة التي يحددها

ثــريــا :

نصدقك نصدقك، جيوبك بريئة، وما أستغربه فقط هو كونك لا تزال رشيقا كغزال على الرغم من أنك تحمل مستشفى بكاملها في بطنك، ألا تظن أن هذا يمكن أن يأخذ في الخارج شكل نكتة مضحكة؟

الـطبيــب :

(بغيظ) ذلك أنني لا آكل وحدي.

ثــريــا :

إنه يعترف.

الـطبيــب :

وأنتم لا تنفكون تتدمرون وتطالبون، لقد وفرنا الخبز فطالبتم أن يكون لذيذا.

ثــريــا :

أوَلا يستحق الوطن خبزا لذيذا؟

الـطبيــب :

هذا رهين بتوفر دقيق مغربل، وأنا الأهم ضمن تروس هذه الرحى، وليس من مصلحة الوطن أن يعطلني عن مهمتي سوء فهمكم ونيتكم.

الـمـفـتـش:

وكأن العمود الأيمن للسماء ستنخره الرطوبة والسوس أو سيصدعه زلزال.. أفق، إنها مرفوعة بغير عمد، ولكنك أنت لست جاهزا لتفهم أنها المعجزة الوحيدة التي يمكن أن تبقى ماثلة أمامنا بثبات حتى وسرها لم يعد سرا، تظن نفسك فوق السماء؟

الـطبيــب :

(مرعشا ساقيه باستخفاف) عموداي الوحيدان يرتعدان.

الـمـفـتـش:

ولم تر شيئا بعد، أقسم لأجعلنك تمطر إن لم تعترف وتختصر على نفسك مسافة هذا الشقاء والألم الطويل.

الـطبيــب :

السين والجيم؟

الـمـفـتـش:

الألف والياء.

الـطبيــب :

أي.

الـمـفـتـش:

وسأجعلك تردد الكثير منها بصراخ.

الـطبيــب :

حسنا لا داعي لمزيد من التهديد، قد لا أطيل فعلا، أنا أيضا لا وقت لدي.

الـمـفـتـش:

أي؟

الـطبيــب :

أي أنني أوثر أن نتفاهم.

الـمفـتـش:

أي أي

الـطبيــب :

هل ترى؟ **و**أنا أيضا قد أجعلك تردد الكثير منها وبصراخ، ولكنني سأوثر أن نتفاهم، وكما نالت بطنك نصيبا من الوجع لا ضير عندي أن تنال أيضا نصيبا مناسبا من حصتي الشخصية في القسمة.

ثــريــا :

رشوة؟

الـطبيــب :

كم يكفيك؟ الربع؟

الـمفـتـش:

(تعاوده فجأة حالة الألم فيمسك على بطنه) أي.

الـطبيــب :

أي عشرون مليونا.

الـمفـتـش:

أي أي**.**

الـطبيــب :

حسنا، هذا يناسبني أيضا.

الـمفـتـش:

أي أي أي.

الـطبيــب :

لا لا، لقد اتفقنا وانتهى الأمر.

الـمفـتـش:

أي أي أي أي.

الـطبيــب :

لا يكفيك الشبع؟!! هذه تخمة قد أجوع من جرائها.

الـمفـتـش:

(بألم شديد) ستتمزق بطني وأنت تهدي بخرافاتك.

الـطبيــب :

تتمزق؟ لا لا، أرجوك، أنا موافق (على مضض) يكفيني الربع ولك الباقي إكراما مني.

الـمفـتـش:

(للممرض الأول) فكوا عن ثريا بذلتها وتلك القيود (للطبيب) لا تُكَبَّلُ الحقيقة هكذا، (منطلقا فجأة وهو يشد على بطنه) امنعوا عنها الأوراق والأقلام.

ثــريــا :

(باسترسال وألم) لا لا لا لا...

(تجرها المساعدتان بعنف وصخب، يخرج وراءهن الممرضان مهرولين، ثم يتقفى الطبيبُ الجميعَ بهدوء وانتصار، ليختفي بدوره بعد أن يضغط بنشوة على زر الكهرباء).

إظلام

المشهد الثاني

صدى صوت نسائي دافئ وحزين يترنم بكلمات قصيدة محمود درويش "تحد" على إيقاع ولحن هادئين وشجيين:

شدوا وثاقي
وامنعوا عني الدفاتر
والسجائر
وضعوا التراب على فمي
فالشعر دم القلب..
ملح الخبز..
ماء العين
يُكتب بالأظافر
والمحاجر
والخناجر

حركة خطوات صاخبة تسود للحظات في الكواليس، يختفي شيئا فشيئا مع اقترابها صدى اللحن والكلمات.

قرقعة مفتاح في قفل، ضجيج مزلاج، صرير باب يفتح، ثم يعم السكون.

(إنارة).

باب الغرفة الثانية مشرع عن آخره بحيث يتمكن الجمهور من رؤية واجهته الخارجية مكتوبا عليها بنفس الخط العريض والجميل: (**مكتب الطبيب الرئيس).**

الـطبيــب :

(مجيلا بصره بحذر في الغرفة ويده لا تزال على زر الكهرباء) أكره هذه الغرفة (ينطلق اللحن خافتا لا يكاد يسمع) أللعنة، مرة أخرى هذا اللحن. (يتقدم خطوات نحو الداخل ثم يلتفت ناحية الباب آمرا) فلتدخلا، هل أرحب بكما؟!!

(تدخل المساعدتان وهما تجران جسدا مرتخيا)

المساعدة الأولى:

المعذرة سيدي، كنا ننتظر إذنك أولا.

الـطبيــب :

(متأملا الكتابة على الباب) إذني؟!! آه، فهمت (يلتفت للجمهور) لعل الديكور مصمم هكذا عن عمد ليوحي بالحجم المأساوي للاختلاسات، تصر المؤلفة أن تبديني في أبشع صورة ممكنة، وأنا هكذا لم أرحم من الاختلاس حتى محتويات مكتبي، هذا ما يمكن فعلا أن يبدو، ولكن الحقيقة مختلفة تماما، فقد كنت استقبلت إحدى المغنيات التي أقدرها

(تلقي المساعدتان بالجسم أرضا).

المساعدة الأولى:

أخيرا رجل. أوف، إنه أثقل من ثور.

المساعدة الثانية:

ومع ذلك فإنه مسالم.

الـطبيــب :

(ساخرا) مع تلك الحقنة المخدرة يمكن أن نعتبره أعقل قليلا من المسالم، (كأنه يطرد ذبابا) أللعنة، هذه الألحان، (بحزم) أعرف أن الثور عندما يصيبه الجنون يصبح أسهل من نعجة، ولكن هذا لا يعني أن تأمنا تخبطه وتتركاه طليقا.

المساعدة الأولى:

لقد كان وديعا و..

الـطبيــب :

ووعدكما بأن يبقى هادئا وأنتما كعادتكما صدقتماه ولم تريا داعيا لبذلة المجانين.

المساعدة الثانية:

لو سمعت حديثه الطريف معنا لما حكمت عليه بغير ما كان يبدو عليه من صدق.

الـطبيــب :

الله حكم عليه هكذا وليس أنا، إنه من جملة هؤلاء المخادعين الذين يقضون أعمارهم في ادعاء ما لا يفعلون، وقد بلغت بهم الجرأة لحد أنهم سمحوا لأنفسهم الأمارة بالسوء بأن يرددوا أكاذيبهم عبر الميكروفونات ومكبرات الصوت، لم يكفهم أنهم دونوها حتى بلغات لا نفهمها.

المساعدة الأولى:

(للطبيب) ماذا كان يكتب ليصيبه كل هذا؟!!

الـطبيــب :

طلاسم وتمائم وأحجبة وكان يسحر الناس (تتراجع المساعدتان بوجل) ولابد أن واحدا من شياطين شعره قد مسه في الصميم.

(خطوات متسارعة وصاخبة تقترب من الغرفة. يدخل الممرض الثاني فجأة)

الممرض الثاني:

(لاهثا) إنه، إنه ليس، إنه ليس...

الـطبيــب :

(مقاطعا برعب) أنت تكاد تنهي ما بدأته معي هذه الجدران، ما بك؟ إنه ليس ماذا؟

الممرض الثاني:

إنه ليس هو.

الـطبيــب :

ليس من؟!!

الممرض الثاني:

الشاعر، إنه ليس الشاعر.

الـطبيــب :

أعرف ذلك، إنه مجنون.

الممرض الثاني:

أقصد أن أقول أن هذا الذي بين أيديكم الآن ليس شاعرا، ولكنه فنان ساخر وقد كان يقلد الشاعر فقط.

الـطبيــب :

ماذا؟ هذه كارثة، وتتدخل الآن؟!! الآن فقط؟!! ألم أطلب منك أن تعتقله أنت لأنني لا أطمئن إلى حيل ذلك الأهوج؟ ولكنك تشبثت بإجازتك لتتتبع مباراة في كرة القدم!!

الممرض الثاني:

تعرف سيدي أن مباراة اليوم كانت حاسمة، وإن كنت أعرف أن رأيك لا يشجع أي فريق.

الـطبيــب :

إنهم على الأقل مجانين لا يسببون الضرر إلا لبعضهم، حتى وإن انفجر هذا الهواء المضغوط الذي لا يفتئون يطاردونه دون جدوى فإنه لن يؤذي غيرهم.

الممرض الثاني :

ومع ذلك سيدي كنت سألبي طلبك لولا أنني سبق ووعدت بعض الأصدقاء أن ألحق بهم إلى المقهى لنشاهد المباراة معا.

الـطبيــب :

المقهى؟ وكيف عرفت بأمرنا مع هذا المهرج؟

الممرض الثاني:

من؟ آه، لقد قدموا له حصة تنشيطية مباشرة ما بين الشوطين قلد ضمنها الشاعر عندما تم التدخل فجأة لاستدراجه من الخشبة، ففهمت أن خطأ ما حصل.

الـطبيــب :

ألأهوج، قلت لك إنه لا يفكر بالشكل السليم. أللعنة، أمام الجماهير وعلى الهواء مباشرة!!

الممرض الثاني:

لحسن الحظ أن تدخله مع المساعدتين تم في قالب ساير العرض تماما، لقد ضحك الجمهور لهذا المشهد وحده أكثر مما أضحكهم العرض

الـطبيــب :

الأهوج، ألأهوج، (للمساعدتين) أين تخلف بالضبط؟ تظنان أنني صدقت كونه لم يخبركما عن مكانه؟ أنا أعرف أنه مهما بلغ به التهور فلا يمكن أن يعهد إليكما بأي مجنون دون أن يترك لديكما تفاصيل تحركه، لقد تغاضيت فقط، الآن وقد اتضح أن النتيجة سيئة فإنني سوف، سوف (بغضب) قلت أين تخلف بالضبط؟

المساعدة الأولى:

(بتردد) لقد، لقد

المساعدة الثانية:

لقد لبث هناك سيدي**.**

الـطبيــب :

لماذا؟ لطالما نصحته أن يغادر مواقع تدخلاته الخرقاء فور الانتهاء من مهمته، هل يتحداني أم أنه يتحدى الجماهير؟!!

الممرض الثاني:

ربما يتحدى نفسه فقط، لا شك أنه لم يعد يطيق تهوره الذي تلومه عليه باستمرار، ولابد أنه أحب أن يتأكد من انعكاس ما أقدم عليه كنوع من التدبير الاحتياطي، أو قد يكون شك في أمر ما فلبث هناك ليستوضحه.

الـطبيــب :

تختلق له الأعذار؟!! لو كان الأمر كما تقول فعلا فسيشكل شكه في نفسه عندي ولأول مرة كفاءة لما أرى في ذلك من رجاحة عقل. حسنا، لقد صنع هذه العقدة بيديه فليفكها بأسنانه، ما لا أفهمه هو كيف يمكن أن يتصرف عندما سيدرك من خلال العرض الموالي أن الشاعر لا يزال طليقا وبأنه لم يتوفق في الرجل المناسب، ماذا ستكون حيلته ليستدرجه؟ (يتأمل المساعدتين بخبث) هل يمكن أن يصدقه شاعر حقيقي هذه المرة بأن معجبتين تنتظرانه في ركن مظلم؟

(تنظر إليه المساعدتان بشزر مكشرتين)

المساعدة الثانية:

(بصوت حاد) نحن محترفتان حتى ونحن هكذا بلباس تلميذتين مراهقتين.

المساعدة الأولى:

(بلطف) تقصد أن تقول أننا طلبنا من الممرض أن يترك لنا رقم هاتفه النقال لنتصل به في حالة حدوث أية عراقل أثناء طريق عودتنا (تخرج ورقة من حمالة ثدييها وتناولها للطبيب).

الـطبيــب :

جيد، (يعطي هاتفه النقال للممرض الثاني) فلتتصل به، اطلب منه أن يحظر حالا، علينا أن نحسب له خطواته القادمة قبل أن يقدم عليها وحده.

(يشرع الممرض الثاني في اتصاله)

الممرض الثاني:

(للطبيب) أتمنى ألا يكون خارج التغطية.

الـطبيــب :

أما هذا المهرج فإنه فعلا خارج التغطية، ماذا أصنع به الآن؟ (يحركه) لقد

الممرض الثاني:

إنه معي على الخط، آلو، نعم نعم، هذا أنا، عرفت صوتي؟ أرفعه؟ (يرفع صوته) هكذا جيد؟ ماذا؟ أكثر من هذا؟ ما هذا الضجيج؟ هل من مشكلة؟ قلت هل من مشكلة؟ (يصرخ) فلتحضر حالا، لا لا، حالا، لا أظنه سيوافقك على هذا، ماذا؟ هدية أخرى؟ لم أفهم، حسنا، سأخبره. (يقطع الاتصال).

الطبيب :

ما المشكلة؟

الممرض الثاني:

لا شيء، فقط ضجة ما كانت تمنعه من أن يسمع جيدا.

المساعدة الأولى:

(متدخلة) لابد أنها المجموعة الفرنسية (المجانين السبعة)، لقد كانوا من ضمن منشطي الحفل أيضا، أعرف أن غناءهم صاخب ومصم.

الممرض الثاني:

المجانين السبعة؟ هذه المجموعة المجنونة بامتياز!! لولا أن كل فرد ضمنها يملك حراسة خاصة لظننت أنها الهدية التي تحدث عنها (للطبيب) لقد أكد لي أنك لن تعترض على بقائه عندما ستعلم أن ما قد يؤخره لبعض الوقت أيضا يتعلق بهدية أخرى.

الطبيب :

ألأهوج، يعتبر هذا المهرج هدية؟

الممرض الثاني:

إنه ليس مهرجا كما أراك تتصور منذ حدثتك بخصوصه.

الطبيب :

قلت إنه فنان ساخر.

الممرض الثاني:

تماما.

الطبيب :

يقول نكتا ويقلد الآخرين كالقرد ويضحك الجمهور العبوس.

الممرض الثاني:

دون أن يهرج بالضرورة، والجماهير ستضحك حتى وهو يقذف أمهاتهم، لأن فنه يستدعي أن يفعل ذلك في قالب مضحك.

الطبيب :

(يركل الفكاهي) هكذا إذن؟ ولابد أنه لم ينس أن يذكرنا في سره وفي علنه، ولذلك سنكون نحن أكرم منه ولن نكتفي بذكره فقط، وإنما سنستضيفه في مستشفانا لبعض الوقت، أرحت الآن ضميري وجانبي الأيمن أيضا، وأظنني سأنام اليوم بسلام، فأنا لا أحب أن أظلم أحدا كما تعرفون عني، وإن كان أمر هذا الشاعر الذي سيبيت هذه الليلة في حضن زوجته قد يؤرقني قليلا (يستدرك متفكرا) أم تكون الهدية هي الشاعر؟ هاهاه، لم أتصور أن يصبح الأهوج يوما ما بهذه الرزانة بحيث يفكر أن يخرس أولا هذا المهرج ثم يربض هناك ولوحده متربصا بالشاعر، أتمنى فقط ألا يفقه لنيتنا ضده فيفلته منا التجاءه للهروب واختيار المنفى كما صار يصنع كثيرون، ولكن يبدو لي حس هذا الأهوج سياسيا، (بفخر) طاقة عاملة

(يدخل الممرض الأول).

الممرض الأول:

بل لوقت طويل.

الـطبيــب :

أهلا أهلا، سامحني، لقد ظننت بك سوءا حتى آخر لحظة، ولكنك أنت وفي آخر لحظة أيضا أثبتت عن قدراتك وذكائك.

الممرض الأول:

(بتواضع) هذا الشبل من ذاك الأسد.

الـطبيــب :

(لنفسه) وإن كان المثال في غير محله، ولكن لا بأس، الأسد ليس تماما كباقي الحيوانات (للممرض الأول) وماذا عن الهدية؟ أرى وفاضك خاويا.

الممرض الأول:

(يقدم شريط فيديو للطبيب) لقد حصلت عليه بصعوبة بالغة، انتظرت حتى آخر العرض وهذا ما أخرني، ثم بعد ذلك حصلت على الشريط من أحد المتفرجين بحيلة نادرة.

الـطبيــب :

(يأخذ الشريط بنرفزة واضحة) لا تخبرني عن حيلتك، أخبرني عن هذا الشاعر فقط.

الممرض الأول:

أنت محق، ولم تخطئ كثيرا بوصفه هكذا، سترى فعلا من خلال الشريط أن تقليده كان جيدا حتى إنني التمست منه مقابل عدم إلقائي القبض عليه بأن يقدم وصلات جريئة نستعملها دليل إدانة ضد هذا الشاعر البغيض (يركل الفكاهي).

الـطبيــب :

(ضاربا على جبهته بكفه) ها إنك أيها الأهوج جعلت الدنيا تسود في عينيّ من جديد.

إظلام

الفصل الثالث

المشهد الأول.

الفكاهي متعلقا بالباب للحظات بعد أن يكون قد أنار مصباح الغرفة.

الـفـكـاهـي :

افتح قلت لك، افتحي، افتحا (يبدأ في درع الغرفة) هل يعقل أنهما استدرجتاني بهذه الطريقة المراهقة وأنا ظننت أن في الأمر (تريث) كاميرا خفية مثلا؟!! أو أي شيء آخر أمتع إلا أن يكون فعلا كما ادعتا، زيارة إلى مكان يلهم بأكثر من هذا الجنون الذي كان يتكرر في القصيدة؟!! لقد كان جنون حب كما أنها ليست قصيدتي. (يصفع خديه) أنا الذي ظننت أن الحقنة فعلا منشط لكي يحلو الجنون برفقتهما. يا إلهي، كأنني في حلم، هل يعقل أن تنتهي عروضي الفكاهية التي قدمتها لحد الآن إلى هذا العرض المأساوي؟!! هل يعقل؟ (يصرخ في كل اتجاه) ولكنني أعدكم أنني لن أقدمه إلا بالسخرية التي يستحق، وهذه الكوابيس مهما كانت شراستها فإنها لن تكون في الأخير إلا شيئا آخر تماما لا يمت للبطولة بصلة، جبناء، كلاب، كلاب كلاب...

(يُفتح الباب فجأة ويظهر الطبيب).

الـطـبـيــب :

(يدخل بهدوء شابكا يديه خلف ظهره ويترك الباب مشرعا**)** ماذا قلت؟ كلاب؟.

الـفـكـاهـي :

(يمعن في البطاقة المعلقة في الجهة اليسرى من صدر الطبيب ليتعرف على شخصيته ثم يتحول خلفه متأملا مؤخرته) ولكنهم فقط يخفون أذنابهم بأيديهم وبين أفخاذهم لأنهم جبناء.

الـطـبـيــب :

لو لم يتأكد عندي جنونك لكان لي معك تصرف آخر.

الـفـكـاهـي :

لم أقصد كلبا بعينه لتستاء أنت.

الـطـبـيــب :

أما أنا فأقصدك أنت.

الـفـكـاهـي :

ولكنك تعرف جيدا من منا المجنون.

الـطـبـيــب :

أنا أملك دليل جنونك فهل تملك أنت دليلا؟

الـفـكـاهـي :

العقل يعني الديموقراطية قبل أي شيء آخر، الحرية، الاحترام.

الـطـبـيــب :

إلخ إلخ إلخ.

الـفـكـاهـي :

ودهاؤك في استعمال عقلك للسيطرة وفرض وصايتك على الناس مناف للعقل، إنه الجنون بعينه.

الـطبيــب :

هذه ليست أدلة وإنما فلسفة.

الـفـكـاهـي :

وتفهم في الفلسفة؟!!

الـطبيــب :

وأتشبث بالكثير مما قيل من خلالها (متذكرا) من قبيل ما قيل عن العقل البشري كونه صورة ناقصة لعقل كوني يسعى إلى السمو نحوه عن طريق التأمل. (بحزم) وأنا لن أسمح لك هنا بأكثر من هذا التأمل، ولو رددت مرة أخرى كلماتك الرنانة لتثير الفتنة بين المجانين فسوف أعمل جاهدا لكي يطول مكوثك بينهم.

الـفـكـاهـي :

هذا ظلم.

الـطبيــب :

لا تخطب في أحد إذن.

الـفـكـاهـي:

لقد كنت أحدث نفسي فقط.

الـطبيــب :

إذن فقد كنت تفكر محدثا نفسك فقط؟!! وكيف تظن بأنني عرفت ما كنت تفكر به إن لم أكن قد سمعتك؟

الـفـكـاهـي:

لا أدري، ربما يوحى إليك، لأنني بصراحة أستبعد أن تكون قد أبقيت على ما يسمح بتجهيز المستشفى بمعدات تجسس تسمح بذلك.

الـطبيــب :

(باستغراب) أنت أيضا تتدخل في هذا؟ ألا يحدث أن يستضيفك أحد ما للجلوس إلى جواره فتلبي؟!!

الـفـكـاهـي:

صديق حميم.

الـطبيــب :

ثم يسحب الكرسي من تحتك في آخر لحظة فتقع؟!!

الـفـكـاهـي:

مقلب مضحك.

الـطبيــب :

ذلك يتوقف على صلابة عصعصك، وإلا انقلب الأمر إلى عاهة أو كسر على الأقل.

الـفـكـاهـي:

وقد لا يحدث شيء من ذلك إلا من فرط الثقة بالآخرين، حتى وإن كانوا مقربين.

الـطبيــب :

وبنفسك، أليست هي الأقرب إليك من كل الآخرين؟ نعم، لا تستغرب، أنت استرخيت قبل أن تتحقق من جلوسك، والدليل أن نفس الأمر من الممكن أن يحدث معك وأنت تستبدل مكانا بآخر في قاعة انتظار مثلا، ثم تسترخي قبل الأوان لأنك لا تدرك أن الكرسيين ليسا بنفس الارتفاع.

الـفـكـاهـي:

(يتخيل) الأول أطول من الثاني، هذا صحيح، قد يحدث هذا أيضا.

الـطبيــب :

فلماذا تلومون الآخرين دائما بأنهم لا يستحقون الثقة وأنهم كذابون أو خونة، غير صحيح مطلقا أن الحذاء يتقلص حجمه لأنه لم يعد يستوعب رجليك.

الـفـكـاهـي:

هذا الحذاء من ضمن ما تتشبث به في الفلسفة، فهمت، فما دخله بموضوعنا؟

الـطبيــب :

(يتحرك نحو الباب) لماذا تصر أن ترمي بأعقاب سجائرك في منفضتي؟ لست الوحيد الذي يدخن في هذا العالم (يتوقف قرب الباب لحظة قبل أن يفتحه) فاتك شيء مهم لم تثره في اسكيتشاتك، هل ترى هذه الجدران؟ (ينقر على الجدار) لقد كان من المقرر أن تكون بسمك متر ولكنها نفذت بسمك سمح بنهب أربعة أخماس ميزانية التنفيذ، والمثل الذي يقول بأن للجدران آذانا أصبح ينطبق عليها تماما.(ينصرف مغلقا الباب خلفه فلا تسمع إلا أصداؤه) العالم ملوث منذ البدء. منذ البدء...

الـفـكـاهـي:

(متحسسا الجدران ومتنصتا) حسنا، سأصمت الآن، وسأعتبر كل هذا بمثابة فاصل أستريح خلاله لأواصل بقوة بعد خروجي (يسمع نقرا على الجدار الأيمن للغرفة فيضع كفه على فمه ظنا منه أن النقر من توقيع الطبيب. يعود النقر ليسمع من جديد، ثم ينطلق صوت خافت أشبه بالأنين عبر الجدار)

الــصـوت :

يا سين، يا سين.

الـفـكـاهـي:

(لنفسه متوجسا) ما هذا؟ من ياسين؟.

الــصـوت :

يا سين.

الـفـكـاهـي:

(بهمس) ياسين ياسين!! لست ياسين. لابد أنه مجنون فلماذا أتعب نفسي بالتساؤل؟!!

الــصـوت :

قل لي يا سين، هل أنت نزيل جديد أم أنك ملحق هنا من مستشفى آخر لسبب ما؟ يا سين؟ هل تسمعني؟ يا سين، دق على الجدار إن كنت تسمعني يا سين.

الـفـكـاهـي:

(يقترب من الجدار ويدق عليه بتذمر ويهمس لنفسه) أتمنى أن يعتقد هذا الصوت أنني أخرس فيرحمني من جنونه.

الــصـوت :

فلماذا لا تحدثني يا سين؟ أعرف أنك لست أخرس فحدثني أرجوك.

الـفـكـاهـي:

(مندهشا) هل سمك الجدران ضعيف إلى هذا الحد؟!!

الــصـوت :

(مواصلا) وإلا فلماذا أتوا بك إلى هنا متهمينك بالجنون؟ (تريث) هل أنت مسرحي مثلي؟ أم أنك مغن مثل النزيلة السابقة للغرفة التي تحتلها الآن؟

(تنطلق ألحان حزينة. يتنحنح الصوت ويشرع في الدندنة بألم واضح ثم ترافقه أصوات أخرى تنبعث من الجوار، لينخرط بعد ذلك الجميع في موال شجي من الآهات قبل أن يقتحموا بغنائهم إحدى قصائد الشاعر أمل دنقل)

آه، آه، آه، آه،...

آه.. ما أقسى الجدار.

عندما ينهض في وجه الشروق.

ربما ننفق كل العمر.. كي نثقب ثغرة.

ليمر النور للأجيال.. مرة.

آه، آه، آه، آه،...

الـفـكـاهـي:

(دون أن تتوقف الألحان ولا الآهات) حين تتكلم ولا يسمعك أحد فكأنك أخرس، حين تتساءل ولا يجيبك أحد فكأنك أخرس، وحين تستنجد ولا يكون في غير الخرس نجاتك فلماذا لا تخرس؟

الــصـوت :

(يكف عن الدندنة وتستمر الأصوات الأخرى) لا لا. تكلم، لا تصمت مهما يكن ثمن خرسك يا سين. تكلم وسأسمعك وأجيبك يا سين، تكلم يا سين.

الـفـكـاهـي:

لماذا لا تكف عن مناداتي بياسين؟ لا يعقل أنك لا تعرفني وتناديني ياسين.

الــصـوت :

تشك في عقلي يا سين؟!! فبماذا أناديك إذن لأكون عاقلا وأنت لا تزال بالنسبة لي مجهولا يا سيد سين؟

الـفـكـاهـي:

سين؟ آه، فهمت، فهمت أيها الصوت.

الــصـوت :

فماذا بعد أن فهمت؟

الـفـكـاهـي:

لا شيء، أكاد أجن.

الــصـوت :

هل تضايقك أسئلتي؟

الـفـكـاهـي:

تحرك بداخلي أسئلة كثيرة متداخلة وهذا يثقلني.

الــصـوت :

كان عليك أن تكون دائما مستعدا لأكثر من هذا وتنتظره، هذا دليل أن أفكارك اتسعت بما يكفي لتضيق بها بعض الأحذية.

الـفـكـاهـي:

مرة أخرى؟ هذه الأحذية!!

الـصـوت :

أقصد أن أقول بأنها اختيار، اختيارنا، والمفروض أننا نختارها لتحملنا وتريحنا.

الـفـكـاهـي:

فهمت، أحذية، والمفروض أيضا أنها هي من تعيش تحت وطأتنا.

الـصـوت :

فما رأيك أن ما هو صحيح ويبقى غامضا لدى أغلبنا هو أننا نحن الذين نحملها؟

الـفـكـاهـي:

(بنوع من الغباء) آه، تماما، هذا صحيح، نحن الذين نحملها.

الـصـوت :

وأن ما لا يظهر بالمرة هو أنها هي التي تدوسنا ونعيش نحن تحت وطأتها.

الـفـكـاهـي:

(محاولا أن يفهم) تدوسنا، تدوسنا، كيف؟

الـصـوت :

ندوس بها بعضنا.

الـفـكـاهـي:

ولكن خطواتنا اختيار أيضا.

الـصـوت :

بأقدام تختنق؟

الـفـكـاهـي:

قلت إن أحذيتنا اختيار أولا، إذن نستبدلها بأخرى أرحب.

الـصـوت :

مع هذا الفقر والعوز؟!! هذا مستحيل.

الـفـكـاهـي:

(بضجر) هذه علاقات مجنونة، ولا أحب الخوض فيها.

الـصـوت :

ليست مجنونة بالمرة، إنما فقط غير مباشرة.

الـفـكـاهـي:

لا أفهم.

الـصـوت :

هي أشبه بإنسان لا يأكل إلا أثناء نومه لأنه حينها فقط لا يفكر فيما قد يعكر خاطره ويسد شهيته، إذا استثنينا الكوابيس جدلا.

الـفـكـاهـي:

فهمت، يلزمه إذن من يطعمه لكي يعيش، وهذا لا يتوفر دائما مما يعرضه لموت لا شك فيه.

الـصـوت :

ليس تماما، هو لا ينام أصلا لأن خاطره معكر.

الـفـكـاهـي:

إذن فهذه علاقات معقدة على الأقل، أرجوك أيها الصوت لا تحملني بها أكثر مما أحمله ويثقلني.

الـصـوت :

تكلم إذن، دعني أحمل عنك بعض أثقالك.

الـفـكـاهـي:

تعودت أن أحمل عن الناس أثقالهم ثم بعد ذلك ألقي بها إلى البحر، تعودت ألا أشكو لغير البحر، عظيم هذا البحر، ننوء بأحمال بطوننا فنلقيها إلى البحر، وحتى أحمال رؤوسنا وصدورنا بمقدوره أن يحملها عنا، هل تسمع أيها الصوت هديره وتلاطم أمواجه؟ إنها أسرارنا التي لم يفشها أبدا حتى أصبح يتخبط بها كالمجنون من هول الألم، وأنا لن يحمل أعماقي أبدا غير بحر أعمق.

(تكف الألحان)

الـصـوت :

هناك دائما خيانة تتربص.

الـفـكـاهـي:

ليس دائما، الأمر مختلف مع البحر.

الـصـوت :

فماذا تفشي المحارة والأصداف؟ وعموما يمكنك أن تشكو للبحر كما تعودت أن تفعل، وإن كنت أرى أنك لا زلت يفاجئك الإخفاق ويخيفك التهديد، أشك للبحر يا سين.

الـفـكـاهـي:

هل تسخر مني أيها الصوت، كيف وأنا حبيس هذا الجهل والجنون؟

الـصـوت :

كل المجاري تؤدي إلى البحر.

الـفـكـاهـي:

(يبتعد عن الجدار كالمذعور حتى يلاصق الجدار الذي يفصل غرفته عن غرفة الاختبارات الذهنية) ماذا؟ أحدثك أيها الصوت عن مشاعر تسمو كالجمال وأنت تحدثني عن حثالة وفضلات!!

(في هذه الأثناء يفتح الممرض الثاني باب غرفة الاختبارات الذهنية ويدخل الطبيب وتقرير ضخم بين يديه).

الـطـبـيـب :

(للممرض) أدخلهن. (لنفسه) تغنين؟ حسنا. سنرى إن كنتن أمتن من الجدران.

الـصـوت :

(متابعا) تكلم بالقلم، أكتب يا سين.

الـطـبـيـب :

(للمجنونة الأولى) ما هذه؟ (مشيرا إلى عينه) هه؟ نحن نرى بفضلها إذا كانت الإنارة كافية للرؤية طبعا.

الـصـوت :

عينك لاقطة حتى في أوج الظلمة يا سين.

الـطـبـيـب :

ماذا يجعلنا نراقب أدنى حركة يمكن أن تشكل خطرا علينا؟ علمتك ذلك

المجنونة الأولى :

المقدم[3]

الـصـوت :

فافقأها إذا هي لم تفضح الزور والزيف وانساقت وراء الأوهام والأباطيل.

الـطبيــب :

(للمجنونة الثانية) وأنت، ما هذا؟ (مشيرا إلى أنفه) هه!! بإمكانه أن يجنبنا خطر الغازات الخانقة، ما لم يصبه زكام طبعا.

الـصـوت :

وأنفك متين يا سين، ولا يمكن أن يصيبه العطب حتى في مجاهل سيبيريا.

الـطبيــب :

بإمكانه أن يكتشف أدنى تسرب بسهولة، فما بالك باحتراف ابنك لتهريب الشكلاط عبر الحدود الإسبانية المغربية.

المجنونة الثانية:

المقدم.

الـصـوت :

فاجدعه إن لم يستعمل لترصد الحقيقة وحدها.

الـطبيــب :

(للمجنونة الثالثة) وأنت، ما هذا؟ (مشيرا إلى لسانه) هه؟ لولاه لما وصلت أخبار كثيرة.

الـصـوت :

ولسانك طليق ولا يعرف التردد.

الـطبيــب :

هه؟ هل أقول لك ذلك بلحن كما فعلت آخر مرة لتحفظيه؟ ما رأيك أنه لا ينقل دائما أخبارا تسر. وقد يخفي الحقيقة أحيانا.

المجنونة الثالثة:

المقدم.

الـصـوت :

فليقل خيرا بما في ذلك فضح الأكاذيب وإلا فإنه يستحق أن يقطع.

الـطبيــب :

(للمجنونة الرابعة) وأنت، ما هذه؟ (مشيرا إلى أذنه) دورها أساسي في عالم التجسس، قولي، فأنت لا تتعبينني عادة.

الـصـوت :

وأذنك متوجسة.

الـطبيــب :

بإمكانها أن تسمع حتى عبر الجدران إن أرادت.

المجنونة الرابعة:

أو تدعي ذلك، عرفتها، المقدم.

الـصـوت :

فلتحشها يا سين بالرصاص إن استعملت لغير صالح الحق والقانون.

الـطبيــب :

(للمجنونة الأخيرة) وأنت. (مستعدا للمغادرة ومحركا أصابعه) ما هذه؟

المجنونة الأخيرة:

أصابع.

الـصـوت :

أكتب يا سين، أكتب.

الـطبيــب :

(يعود إلى مكانه مستغربا) آهاه!!! وهذا؟ (مشيرا إلى لسانه).

المجنونة الأخيرة:

لسان.

الـصـوت :

بُح يا سين.

الـطبيــب :

(مشيرا إلى التقرير الذي بين يديه) وهذه؟

المجنونة الأخيرة:

أوراق ومستندات وتقارير تثبت أن كل عائلتي هاجرت سرا نحو الشمال ليلهمني ألم فراقها بكتابة قصصي التي أقضت مضاجع أغلبكم.

الـصـوت :

بُح للورق.

الـطبيــب :

هكذا إذن؟ كنت أحسب أمر شفاء أحداكن شيئا صعبا.

الـصـوت :

إصنع المستحيل يا سين، فاجئ العالم بالحقيقة**.**

المجنونة الأخيرة:

ليس من شيء صعب في الحقيقة، وبإمكان حتى غصن قطع من شجرة أن يكون بفائدة هو أيضا، حتى إن العصا لا تضرب إلا إذا قطعت من الشجرة.

الـطبيــب :

طبعا طبعا، ولا شيء مستحيل حتى وأنا لا أظن أن فائدة عكاز في مساعدة إحداكن على تحمل مشقة وطول مسيرها نحو إنهاء مدة إقامتها هنا قد لا تكون بجدوى مع امتلاكي وحدي لمفاتيح أقفال بوابة الخروج.

المجنونة الأخيرة:

أوافقك (تشير نحو رأسها مواصلة) ما دمنا نملك مؤخرات نصنع بها أفكارا فلن يكون هناك أبدا شيء اسمه المستحيل.

(ينفجر الطبيب والفكاهي ضاحكين في نفس الوقت، بينما يسوق الممرض النساء خارج الغرفة كقطيع من الأغنام وهو يضحك).

الـطبيــب :

أحسنت، ولذلك أنت مجنونة والأسماك بذكاء خارق.(منصرفا) أستطيع أن أتخيل صيادين يتجادلان بشأن ندرة الأسماك هذه الأيام، سيقول الأول بأن الخراء يوشك أن يقضي على الغلال وسيجيبه الثاني بأن الجنون سيصيبهما لا محالة إذا استمر الوضع في تصاعده هكذا، (يطفئ نور الغرفة ويسمع صوت إغلاقه للباب ثم تسمع بعد ذلك أصداؤه) على كل حال أنا أنتظرهما بفارغ الصبر (يطلق ضحكة عالية وكذلك يفعل الفكاهي في

الـصـوت :

كأني بك تضحك يا سين!!

الـفـكـاهـي:

(مقتربا من جديد من الجدار الأيمن) تحولت الرأس إلى مؤخرة تصنع أفكارا، ألا يضحكك أنت هذا أيها الصوت؟

الـصـوت :

ألم تعجبك فكرتي يا سين؟!! أن تكتب يا سين.

الـفـكـاهـي:

لقد منعوا عني الأوراق والأقلام.

الـصـوت :

وأنا صنعوا معي نفس الشيء ولسنوات، ولم يمنعني ذلك أن أكتب، حصلت على حقنة بسهولة لأنها متاحة أكثر من الرغيف، وبشوكتها كنت أكتب، أحصل عليها أنت أيضا مقابل رغيف.

الـفـكـاهـي:

والورق؟

الـصـوت :

الرغيف يا سين، عليك أن تضحي برغيف آخر من حصتك.

الـفـكـاهـي:

والحبر؟ فاتتك هذه أيها الصوت.

الـصـوت :

اعتصره منك يا سين، عليك أن تضحي أكثر يا سين.

الـفـكـاهـي:

إلا هذا أيها الصوت، لا لا، أرجوك، لا تجعلني أتصور أشياء ملوثة.

الـصـوت :

الكتابة أطهر من قلوب التقاة، فديتها بدمي لكي تظل طاهرة وعظيمة، معك الحقنة فاستعمل دماءك أيضا حبرا يا سين، واكتب يا سين، هل أطهر من ذلك شيء يا سين؟

الـفـكـاهـي:

وماذا بعد الكتابة يا صوت؟ ندنسها بعفن المجاري؟!!

الـصـوت :

لا تكن متسرعا يا سين، إنك حقا عجول، هناك دائما حل ما دامت لنا رؤوس نفكر بها.

الـفـكـاهـي:

(مذعورا) عن أية رأس تتحدث؟

الـصـوت :

عن هذه طبعا.

الـفـكـاهـي:

أين تشير بالضبط؟ تعرف أني لست أراك.

الـصـوت :

أشير إلى رأسي بالطبع.

الـفـكـاهـي:

أنت لا تفهمني أيها الصوت، أين تقع رأسك؟

الـصـوت :

ما بك يا سين؟

الـفـكـاهـي:

(بنفاذ صبر) على أي مستوى هي من الأرض؟

الـصـوت :

لصيقة بالأرض يا سين.

الـفـكـاهـي:

رباه.

الـصـوت :

ما بك يا سين؟

الـفـكـاهـي:

إنها مؤخرتك.

الـصـوت :

بل هي رأسي يا سين، رأسي رأسي، (بعد لحظة صمت) شكوت قبلك للبحر يا سين، كتبت بدمائي وكنت أحس بانتعاشة الحياة تدب في روحي كلما كنت أكتب أكثر وأكثر، كلما فضحت ما يجري حولي ويمارس من ظلم وقمع وتجنين، كتبت حتى ما عادت تطاوعني شهيتي لآكل شيئا من الرغيف في حصتي اليومية، جعلت أموت بالكتابة من أجل أن تحيى الكتابة، وأنا الآن أتوسد الأرض وأحتضر، واصل أنت الكتابة، لا تتردد، لا تتهاون، لا تجبن، أكتب يا سين، أكتب يا سين، أكتب يا سين، أكتب، أكتب... (يخفت الصوت شيئا فشيئا إلى أن يصمت).

الـفـكـاهـي:

(بصوت يرتفع شيئا فشيئا) صوت، ما بك صوت؟ صوت، صوت...

(يدخل الطبيب مغتاظا)

الـطـبـيـب :

ألم آمرك أن تصمت أيها المجنون؟!!

الـفـكـاهـي:

ولكنني عاقل، وكما ترى فأنا لا زلت كما عهدت نفسي أتحدث وأخجل بنكثي كبار المسئولين، فكيف تأتي أنت من خلف كل هؤلاء لتتجرأ على اتهامي بالجنون؟

الـطـبـيـب :

هذا غير كاف، لن أنتظر بأن تزأر الأبقار في وجهي لأعرف أن الجنون أصابها.

الـفـكـاهـي:

أنا أعقل منك.

الـطـبـيـب :

أعرف هذا، ولذلك فأنت لن تنطق بغير الخوار.

الـفـكـاهـي:

(متذمرا) أنا أرفض، أنا أحتج، لا، لا، أنا عاقل، عاقل، لماذا ترفض أن تصدقني؟

الـطبيــب :

(بهدوء واستهزاء) هل تعتقد أن المجانين يتذمرون مثلما تصنع أنت؟ أتساءل فعلا بماذا يشعر المجانين ليكونوا على تلك الحالة من الرضى والهدوء؟

الـفـكـاهـي:

أراك هادئا وراضيا أيضا.

الـطبيــب :

أمري مختلف، صدقني.

الـفـكـاهـي:

وأمر كثيرين هنا مختلف أيضا.

الـطبيــب :

أعرف أعرف، ولكنني كنت أتساءل عن شعور المجانين بحق.

الـفـكـاهـي:

الجنون حالة لا يمكن أن تدرك كنهها إلا إذا جربتها.

الـطبيــب :

تقصد أن نجرب نقصانا في العقل من هذا النوع؟!!

الـفـكـاهـي:

أقصد أنها تجربة من قبيل الموت، لا يمكن أن تعرف عن معاناتها أو متعتها شيئا إلا وأنت في خضم التجربة.

الـطبيــب :

أنا شخصيا لا أشكو من أي نقص في عقلي، كما أنني لا زلت حيا لأتعبكم.

الـفـكـاهـي:

ولكنه ليس نقصا في العقل كما تظن، إنه تضخم في المشاعر يمنحك الإحساس أن بعقلك خفة وانسيابا.

الـطبيــب :

تقصد أنه كالبالون؟

الـفـكـاهـي:

ليست خفة من هذا النوع، إنه ثقل في التفكير يضغط على عقلك حتى يكاد يغيبه.

الـطبيــب :

بالون حديدي يطير؟!! حقا هذا ما يمكن أن يسقط من أعلى على رأسك ليغيبك.

الـفـكـاهـي:

ولكنه ليس غيابا بهذا الشكل، إنه حضور قوي للإدراك على الرغم من أنك لن تدرك أبدا أنك مجنون.

الـطبيــب :

ولكنني لست مجنونا مثلك لأدرك كل هذه السلسلة من المتناقضات.

الـفـكـاهـي:

أقصد أنك ستكتفي بالقول بأنك عاقل جدا إلى درجة الحكمة والبلاغة.

الـطبيــب :

هذا تقوله أنت، أما أنا فأمنحك فرصتك الأخيرة لكي تتعلم الصمت، إنه

الـفـكـاهـي:

هذا مخجل (يتلفت حوله غير مصدق) هنا؟؟؟

الـطـبـيــب :

لا داعي للخجل، هذه إفرازات مبرَّرة.

الـفـكـاهـي:

(يبصق في وجه الطبيب) والبصاق أيضا.

الـطـبـيــب :

(بخبث) وماذا سيبرر هذا إلا جنونك؟ (يهم بالانصراف) قلت بقرا فلا تستأسد.

(يظهر عبر الباب الذي ظل مشرعا عند دخول الطبيب الممرض الأول والمساعدتان وهما تحملان جثة على نقالة)

الممرض الأول :

(للطبيب عندما يستوقفهم بإشارة من يده مستفسرا) نزيلة الغرفة رقم ثلاثة سيدي.. ماتت.

الـفـكـاهـي:

يا إلهي، مات الصوت.

(في هذه اللحظة تتقدم سيدتان بلباس المساعدات الطبيات وممرض ثالث من بين الجمهور، يعتلون الخشبة ويتوجهون نحو الغرفة حيث يتواجد الطبيب والفكاهي).

الممرض الثالث:

(للجميع بصوت آمر) نريد كاتبة هذه المسرحية.

(يخرج من الكواليس المخرج ومخطوط المسرحية في يده)

الـمـخــرج:

(مبهوتا) أنا المخرج، ما الأمر؟ إننا نعرض الآن ولا يليق هذا الذي تقومون به، غادروا من فضلكم وإلا استدعيت الأمن.

الممرض الثالث:

(ملوحا ببطاقة) نحن نعمل في حدود سلطتنا أيضا.

الـمـخــرج:

أمراض عقلية؟

الممرض الثالث:

علينا أن نتحقق من سلامتها العقلية إثر ما أقدمت على قوله في هذا العرض بكون حالة من الجنون عصفت بها عندما علمت بأمر الاختلاسات التي تقع بالمستشفى المركزي للأمراض العقلية والنفسية.

الـمـخــرج:

إنه مجرد عرض مسرحي، نحن نمثل، نمثل.

الممرض الثالث:

كيف أصدقك وأكذب عيني وأذني، لقد اعترفت (ينتزع مخطوط المسرحية من بين يدي المخرج) ونملك دليلا كتابيا أيضا.

الـمـخــرج:

هذا تعسف.

الممرض الثالث:

بل هذا مقابل غضنا عن مشاركتك في الجريمة، فلتتنحّ إذن، علينا أن نأخذها حالا.

الـمـخــرج:

حسنا، لقد ماتت، انتظر قليلا لترى أيضا أننا سنشيع جنازتها.

الممرض الثالث:

هذا لا أصدقه إلا بشهادة وفاة.

الـمـخــرج:

إنكم تمزحون!! هذه مكيدة لتفشل المسرحية.

الممرض الثالث:

لا لا، بما أن دورها قد انتهى في هذا العرض فلا يمكن أن يشكل ذهابها معنا خسارة تذكر، في حين أنها لو رفضت فسوف تضطرنا لنوقف العرض عند هذا الحد.

(تنهض ثريا من مرقدها)

ثــريــا :

لا بأس، سأرافقكم (للمخرج) سيكون كل شيء على ما يرام، أكملوا العرض.

الـطبيــب :

(لثريا) تحبين أن يكتمل العرض بأي ثمن وإن على حساب حريتك!! أنت حقا مجنونة.

ثــريــا :

بل أحب الجمهور، وسوف أضحي من أجله حتى آخر قطرة دم في عروقي.

الـطبيــب :

(يشير إلى الجمهور) أنظري إليهم، إنهم يظنون أن هذا جزء من العرض.

ثــريــا :

ولكنه فعلا كذلك.

الممرض الثالث:

ضيعنا ما يكفي من الوقت (يشير للمساعدتين كي تلبسانها البذلة الطبية)

ثــريــا :

لا داعي لذلك، أعدكم أنني سأحظر معكم بهدوء ولن أسبب لكم مشاكل.

الممرض الثالث:

تكفيننا العناء إذن، شكرا.

ثــريــا :

لا شكر على واجب، واجبي تجاه الجمهور طبعا.

الـطبيــب :

عين الصواب، ليعرف أنك مجنونة.

ثــريــا :

(مستعدة أن تنصرف مع الطاقم الطبي عبر الكواليس) بل ليعرف أنني

الـطبيــب :

(للممرض والمساعدتين) انصرفوا (للفكاهي) مرت سنوات وأنا أظن في كل يوم أن باستطاعتي أن أروضها، أخضعت بعدها العشرات وضلت هي متمسكة بجنونها.

الـفـكـاهـي:

تقصد أن تقول بفنها.

الـطبيــب :

لو أنها كانت فقط مرنة ولينة، ها قد انتهت الآن وانطفأت، (مهددا) هل تحب أن تنتهي مثلها؟

الـفـكـاهـي:

يا إلهي، لا، لا.

الـطبيــب :

إذن كل ونم وسأرى ما سوف يكون من شأنك بعد شهر، ولا تنس، كالأبقار تماما.

الـفـكـاهـي:

وأنا جائع، جائع جدا.

الـطبيــب :

لا بأس أن تكون بشهية أسد.

الـفـكـاهـي:

إذن فأنا أريد الكثير من الأرغفة.

الـطبيــب :

(ساخرا) جائع إلى هذه الدرجة؟!! فلتبتهج، نصيبكم من الطعام جنائزي صرف ولمدة أسبوع كامل (يسمع فقط صوت إغلاق الباب وقرقعة المفاتيح في قفله بعد أن يكون الطبيب قد ضغط على زر الكهرباء وانصرف).

إظلام

الـفـكـاهـي:

(عبر الظلمة**)** لا لا، لا تقل لي كسكس بلحم البقر.

المشهد الثاني.

رعد وبرق وأزيز رياح.

يتحرك الصيادان بالقارب نحو الجهة اليمنى للخشبة، فيأخذ نور الفانوس في الانتشار شيئا فشيئا إلى أن يعم دون أن يثبت على سطوعه بفعل الرياح.

الصياد العجوز :

(محركا قصبته بسخط) يوشك الخراء أن يقضي على الغلال، حتى الحرتوكة التي تلاقي إقبالا في هذا الفصل البارد اختفت.

الصياد الشـاب:

(مجدفا على مهل) وهذه الرياح التي تتلاعب بالقارب والنور!! سيصيبنا الجنون لا محالة إذا استمر الوضع هكذا لأيام أخرى.

(يأخذ القارب مكانه وسط الخشبة من جهتها الأمامية، بحيث تكون سارية الشراع مرتفعة بما يكفي ليختفي طرفها العلوي مباشرة خلف الستار وتكاد ما أمكن أن تلامسه).

الصياد العجوز :

(ملتقطا فجأة بصارته كيسا بلاستيكيا) أنظر، إننا محظوظان اليوم (يأخذ الكيس ويهمل القصبة في القارب) إنه ثقيل.

الصياد الشـاب:

(يهمل مجدافيه ويهب واقفا) كيس؟!! (بشوق) ياه، مر أسبوع بكامله لم نعثر خلاله على شيء (بلهفة) هيا هيا، أسرع (يفرك كفيه ببعضهما) ناولني الكيس.

الصياد العجوز :

أثلج صدرك الخبر وتريد أن تستأثر بالقراءة لنفسك كالعادة.

الصياد الشـاب:

لا يبدو عليك شوق كما كان شأنك مع الشاعرة، كما أنك تتلعثم في قراءتك.

الصياد العجوز :

فقط بصري حسير كما تعلم، (يناوله الكيس) كما أن الكيس الأخير كان ملتهبا بما يكفي ليستمر دفؤه معي لأسابيع أخرى.

الصياد الشـاب:

ما كان أثارني فيه حقا هو ما حكته ثريا عن مشاعر الجماهير تجاه الفكاهي، إنهم ينفعلون بكل الأشكال من الابتسامة إلى الضحكة المجلجلة ولا يدرفون دمعة واحدة حتى وإن كان الموقف يمزق المشاعر.

الصياد العجوز :

إنه يبقى فكاهيا في الأخير، وقد تعود ألا تأخذ الجماهير مواقفه مأخذ الجد.

الصياد الشـاب:

(يعد الأرغفة) وجبتنا اليوم دسمة، سبعة أرغفة، (يتصفح رغيفا) إسمع، أظن أن التوقيع هذه المرة للفكاهي نفسه (يقرأ التوقيع ضاحكا) فكاهي حزين.

الصياد العجوز :

لم يعد يهمني التوقيع أو الموقع، أصبح الأهم عندي هو أن تكون الحكاية

الصياد الشـاب:

إذن فاسمع (يتخلل حكيه ضحك) لقد تدخل واحد من الجماهير ليستفسر عن هذا التداخل في العرض فاعتقلوه. (يضحكان بينما تهب في هذه الأثناء دفقة من الريح تؤثر في شعلة الفانوس وتكاد تطفئه) إحذر أن ينطفئ، نظري الجيد لن يفيد حينها في شيء.

الصياد العجوز :

(وهو يحاول أن يحمي الفانوس في حضنه بعد أن أنزله من مكانه في أعلى السارية) وماذا عن الرغيف الثاني؟

الصياد الشـاب:

إنتظر، (يتصفح رغيفا) إسمع: لقد عرض الطبيب على ثريا أن يطلق سراحها مقابل أن تكتب اعترافا خطيا توقعه وتوضح خلاله كيف أن كل هذا الذي يحدث داخل المستشفى إنما هو من تأليفها.

الصياد العجوز :

مرت سنوات ولم يفهم بعد أنه هو المجنون الوحيد داخل هذا المستشفى.

الصياد الشـاب:

لقد حركته ثريا كالدمية في مسرح للعرائس، وهزمته شر هزيمة.

الصياد العجوز :

تقصد أن كل شيء كان من تأليفها فعلا؟!!

الصياد الشـاب:

(مبهوتا) هه؟!! لا أدري، (يمعن في الرغيف) لا أدري.

الصياد العجوز :

(يبعد الفانوس عن حضنه لينير للصياد الشاب الرغيف أكثر) لا تدري أم لا تفهم؟

الصياد الشـاب:

وفيم يهمك هذا أيضا؟ المهم أن تستمتع.

الصياد العجوز :

معك حق، (يضع الفانوس إلى جواره ليستوي في جلسته فتهب دفقة أخرى من الريح فتكاد تنطفئ شعلته مرة أخرى).

الصياد الشـاب:

إحذر قلت لك.

الصياد العجوز :

(بعد أن حمى الفانوس من جديد في حضنه) هل سيهددنا بالانطفاء بعد كل رغيف؟ هذا يزعج ويقطع حبل المتعة.

الصياد الشـاب:

(مركزا في الرغيف الثالث) حاول أن تقربه مني، لم أعد أرى بوضوح.

الصياد العجوز :

هكذا سينطفئ، (يقربه منه بحذر) بسرعة بسرعة، هيا، ماذا في الرغيف الثالث؟

الصياد الشـاب:

يبدو أن لجنة دولية ستبحث في أمر جنون ثريا.

الصياد العجوز :

حقا؟!!

الصياد الشـاب:

إسمع: (يضحك) وقد شن الطبيب حملة تفتيش كبيرة في باقي المستشفيات الفرعية بحثا عن مجنونة فيها شبه من ثريا.

الصياد العجوز :

يريد أن، فهمت، يا لدهائه، وهل وجد؟

الصياد الشـاب:

في آخر لحظة، ويبدو أنه التقطها من بين براثن اللجنة الطبية التي تصادف وجودها في نفس الفرع الذي كان يبحث فيه حينها.

الصياد العجوز :

إنه محظوظ.

الصياد الشـاب:

(ضاحكا) إطلاقا، بالمرة.

الصياد العجوز :

لابد أنه وجدها عاقلة.

الصياد الشـاب:

بل لأنها كانت واحدة من أعضاء اللجنة.

(يستلقي الصياد العجوز على قفاه من الضحك فيرتعد الفانوس بين يديه ويسقط).

الصياد العجوز :

(منهمكا في إصلاح شيء ما في الفانوس بعد أن يكون قد التقطه وهو يلعن) أللعنة، لقد تدفق أغلب زيته، أسرع وهات التالي قبل أن ينطفئ، هيا هيا، الرابع بسرعة.

(منذ هذه اللحظة ستخبو شعلة الفانوس شيئا فشيئا رغم حماية الصياد العجوز لها في حضنه)

الصياد الشـاب:

إسمع، لقد زارته اللجنة وأخذت تحقق بشأن كل النزلاء.

الصياد العجوز :

أخيرا ضيقوا عليه الخناق.

الصياد الشـاب:

واسمع هذا أيضا، لقد صحبوا معهم داعية كبيرا ومشهورا ووعدوا الطبيب بأن يتخلوا عن متابعته إذا ما استطاع أن يثبت بأن الداعية مجنون.

الصياد العجوز :

داعية؟!! وهل استطاع؟

الصياد الشـاب:

(يقرأ): استدعى الطبيب مجموعة من المجانين ورسم لهم خطا على الأرض وطلب منهم واحدا واحدا أن يمروا أسفله.

الصياد العجوز :

(ضاحكا) أتخيل جباههم.

الصياد الشـاب:

(متابعا) ثم أخبر أعضاء اللجنة أن الداعية يصنع هكذا مثلهم منذ سنوات

الصياد العجوز :

ولم يصدقوه طبعا لأنه لا يملك دليلا على ذلك.

الصياد الشـاب:

بل لقد صدقوه، (يضحك) عندما أمعنوا في جبهة الداعية.

الصياد العجوز :

(مغالبا ضحكه) لا داعي لإضاعة الوقت في الضحك، الفانوس آخذ في الانطفاء، هيا هيا بسرعة، ماذا في الرغيف الخامس؟ أتمنى أن يكون أمتع.

الصياد الشـاب:

(يقرأ لنفسه لبعض الوقت) آهاه!!

الصياد العجوز :

ماذا؟ مع هذا الرعد والأزيز يجب أن ترفع صوتك أكثر وألا تكون نهما، لماذا تريد أن تنفرد بالرغيف وحدك؟

الصياد الشـاب:

(يرفع صوته ببقية الجملة في الرغيف وهو يستوي في جلسته من شدة الاهتمام الذي انتابه) ويبدو أن البحر قد شح بخيراته لأن مجنونة تسببت في ذلك.

الصياد العجوز :

(مأخوذا أيضا بهذا الخبر) حقا؟ كيف ذلك؟

الصياد الشـاب:

لأنها خلطت ما بين رأسها ومؤخرتها فأصبحت هي مجنونة والأسماك بذكاء خارق.

الصياد العجوز :

(مغالبا ضحكته من جديد) لا لا، لا تضحك وتضيع بذلك وقتنا، فالوقت كما تعرف لا يرحم.

الصياد الشـاب:

(مستمرا في ضحكه) تقصد أن تقول أن الفانوس لا يرحم، حسنا حسنا، أترك الرغيف وسأكمل لك (ثم بلهفة وهو يخرج رغيفا آخر) أتمنى أن يكون الرغيف السادس أطول.

الصياد العجوز :

المهم أن يكون ألذ.

الصياد الشـاب:

(يعود بسخرية ليتأمل الرغيف السابق) لقد كنت أتساءل فعلا بخصوص هذا الجزء المقضوم من الرغيف، على الرغم من أنه قادم عبر المجاري!!

الصياد العجوز :

(يرد بنفس السخرية) نسيتَ أنه مملح بدم الأبطال والمبدعين. (ثم جادا ومستعجلا) أسرع أسرع، أنت تضيع الوقت في الكلام الفارغ، ولو كنت أنوي أكل الرغيف لما رأيتني أهتم بالنور إلى هذا الحد، والمهم في الأخير هو أن تتحقق المتعة ولو بغير كلام، كما أن في بعض الإطالة أحيانا مللا ومضيعة للوقت فلم لا تسرع وتقرأ؟.

الصياد الشـاب:

أظن أن في هذا الرغيف تتمة ما جاء في الرغيف الخامس. (يقرأ):

الصياد العجوز :

بدأ ينهشه الجوع، لا يبدو صبورا مثل ثريا.

الصياد الشـاب:

تقول هذا بدل أن تشكره على كونه برّأك!! (ثم يتابع القراءة في الرغيف السادس) وقد قال الطبيب للمجنونة بأنه يستطيع أن يتخيل صيادين اثنين يعانيان بسببها.

الصياد العجوز :

(تخبو ضحكته) هه؟!!

الصياد الشـاب:

(مواصلا باستغراب وتلعثم) سيقول الأول للثاني بأن التلوث يوشك أن يقضي على الغلال (يقرفص) وسيخبره الثاني بأن الجـ، الجـ، (يفارقه التردد والتلعثم عندما يرافق إلقاءه الصياد العجوز فيقرآن سويا وهـما ينظران إلـى بعضيهما بدهشة وكأنهما يحفظان ذلك المقطع من الجملة): بأن الجنون سيصيبهما لا محالة إذا استمر الوضع في تصاعده هكذا.

(يتلفتان في كل اتجاه)

الصياد العجوز :

وماذا بعد ذلك؟

الصياد الشـاب:

(يتابع) ولهذا فالطبيب ينتظرهما بفارغ الصبر.

(يهبان واقفين)

الصياد العجوز :

هات الرغيف السابع، لا لا، لا تقرأه. (ينتزعه منه ويلقيه في البحر).

الصياد الشـاب:

(مذعورا، يخطف الفانوس من حضن الصياد العجوز ويحاول أن ينير بفضل شعلته التي تضاءلت جدا مكان سقوط الرغيف**)** يا إلهي، أنظر أنظر، الأسماك، إنها تتكالب على الرغيف!! أدل بالصنارة، بسرعة.

(يلقي الصياد العجوز نظرة ولكن الشعلة تكون قد انطفأت ولا يبقى كمصدر للضوء إلا الوتيرة المتقاربة للمعان البرق).

الصياد العجوز :

(ممسكا على الدفة) لأول مرة منذ إبحاري الأول ستكون هذه الرياح القوية وهذا البرق الخاطف بفائدة ومصدريْ نجاة، اِفرد الشراع بسرعة، هيا هيا، فلنغادر هذا المكان حالا.

الصياد الشـاب:

(منهمكا في اشتغاله على مجموعة من الحبال بهمة، بينما تنزل بموازاة حركته الستارة شيئا فشيئا، وكأنها تنزلق على سارية الزورق) فعلا، فلننه حالا هذه المهزلة.

ستار

(النهاية)

الهوامش

1: أسماك صغيرة وساخنة من فصيلة القرشيات.
2: مثل شعبي مغربي.
3: رتبة صغيرة في وزارة الداخلية، مهمة صاحبها معرفة أقصى ما يمكنه من المعلومات عن المواطنين، ويملك مصداقية رسمية على شهاداته بخصوصها.